التقديم والتأخير
في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم
دراسة استقرائية موضوعية

بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الدولي الخامس

(مراعاة المقام وأبعاده التداولية في الفكر العربي والإسلامي)

المنعقد في ١٨ مارس ٢٠٢٣م

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية

جامعة الأزهر

إعداد الدكتور

رزق محمد رزق السواحلي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

بكلية أصول الدين بطنطا، جامعة الأزهر

التقديم والتأخير في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة استقرائية موضوعية

رزق محمد رزق السواحلي
قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين، طنطا، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الالكتروني: RizkMuhammed.el.98@azhar.edu.eg

الملخص:

إن لكل كلمة في الجملة العربية موقعا معيّنا، فالفعل يسبق الفاعل والمبتدأ يسبق الخبر. هذا هو الأصل، بيد أن البليغ ربما يغير في هذا الترتيب فيقدم ويؤخر بعض الكلمات ؛ فيأتي الكلام على خلاف مقتضى الظاهر وهذا التقديم والتأخير لغرض بلاغي يكسب الكلام جمالا، لأنّه سبيل الى نقل المعاني في ألفاظها الى المخاطبين على وفق ما يريده المتكلم والمتشابه اللفظي في القرآن الكريم هو: أن تأتي الكلمة في موضعين أو أكثر بيد أنها تأتي في بعض هذه المواضع في موضعها الأصلي، وفي بعضها تقدم عليه ، ومن المفترض أنها إذا جاءت في موضعها لا يسأل عن سر لهذا التعبير ؛لأن (ما جاء على أصله لا يسأل عن علته) ولكن القرآن الكريم امتاز عن سائر الكلام العربي ؛ لأنه يقال: إذا كان التقديم أبلغ فلماذا لم تأت المواضع كلها بالتقديم، وإذا كان التأخير أبلغ فلماذا لم تأت المواضع كلها بالتأخير، ومن هنا يسأل عن سر لكل موضع، ولذلك نجد الكلمة في القرآن الكريم تقدم وتأخر على حسب ما يقتضيه السياق، أو على حسب حال المخاطبين، أو على حسب ترتيب معين، أو لرعاية التناسب اللغوي، ومن هذا يتبين أنه يمكن جعل قواعد عامة لتوجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم يستطيع الباحث والدارس في المتشابه اللفظي أن يقيس ما لم يجد له توجيها على هذه القواعد الكلية وهذه طريقة مهمة لتيسير هذا العلم الواسع

الكلمات المفتاحية: أسرار، التقديم، التأخير، المتشابه، القرآن .

The secrets of verbal anastrophe in the Holy Quran in an objective study

Rizk Muhammad Rizk al-Suwahili
Department of Interpretation and Quranic Sciences, Faculty of Religious Origins, Tanta, Al-Azhar University, Egypt.
Email:
RizkMuhammed.el.98@azhar.edu.eg

Abstract:
Each word in the Arabic sentence has a particular position. The verb precedes the topic (Almobtadaa) and the comment (Alkhabar) precedes the word. This is the original, but the eloquence may change in this order and introduce and delay some words. The speech is contrary to the apparent requirement and this for an anastrophe of rhetorical purpose earns the word beautiful, because it is a way to convey the meanings of its words to the addressees as the speaker and the verbal similarity in the Holy Quran wants: The word should come in two or more positions, but in some of these places it should come in its original position, and in some of its ages, and it is presumed that if it comes in its position, it does not ask for a secret to this expression because what is said in its origin does not ask for (it was made but the Holy Quran is distinguished from all other Arabic speeches because it is said: if the application is notified, why don't all the placements come by submission and if the delay is greater, why don't all the delays come, Hence he asks for a secret for each location, so we find the word in the Holy Quran progressing and delayed as the context requires, in the case of the addressees.

Keywords: Secrets، reserves، delays، similarities، Quran.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله الرحيم الرحمن، خلق الإنسان علمه البيان ٠

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، أودع في كتابه العزيز فنون البلاغة، وألوان الفصاحة، حتى شهد بذلك أعداؤه قبل أوليائه؛ إذ هو بحق: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (١).

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، آتاه ربه جوامع الكلم ؛ فكان لا ينطق إلا بالأمثال والحكم

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين هداهم وطهرهم، وبصحبته خصهم وأظهرهم، وسلم تسليما كثيرا ٠

أما بعـــد ٠٠

فقد عني الباحثون بالدراسات القرآنية عناية فائقة، وحظيت بلاغة القرآن بحظ وافر من هذه الدراسات، بيد أن العلماء ـ قديما وحديثا ـ أبلوا شبابهم، وأفنوا أعمارهم في هذه الدراسات، ولكنهم لم يبلغوا معشار ما تستحقه ؛ فمجالها أوسع من أن يحصى، وأبعد من أن يستقصى ٠

ولما كان قدر الله ـ ﷻ ـ أن أكون واحدا ممن كلفهم وشرفهم بخدمة كتابه العزيز؛ لذا رأيت أن أدلي بدلوي في علمين من أكبر العلوم القرآنية التي تؤكد للعدو قبل الصديق أن هذا القرآن من لدن حكيم خبير ؛ لذا كتبت هذا البحث الذي سميته: (التقديم والتأخير في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم) ٠

أسباب اختيار الموضوع:

لما كان موضوع (التقديم والتأخير) أحد الأبواب الكبيرة في علم المعاني، حتى قال عنه ابن الأثير [ت:٦٣٧هـ]: " وهذا باب طويل عريض، يشتمل على

(١) سورة: فصلت: ٤٢ ٠

أسرار دقيقة" [1]، وقد حظي النظم القرآني بجمال هذا الفن ؛ لذا رأيت . بعد استخارة الله ﷻ . أن أتناول هذا الموضوع بالبحث والدراسة ؛ وذلك للأسباب الآتية:

١ . أن تدهور حال اللغة العربية . بصفة عامة . لدى الناطقين بها يدعو إلى الحزن والأسف؛ فإذا كان حافظ إبراهيم [ت١٩٣٢م] قال منذ أكثر من قرن من الزمان على لسان اللغة العربية وهي ترثي نفسها:

أيهجـــرني قـومي– عفا الله عنهم إلى لـــغـة لم تتصـل برواة
سـرت لوثـة الإفرنج فيها كما سـرى لعاب الأفـاعي في مسيل فرات
فجـاءت كثـوب ضم سبعين رقعة مشـــكلة الألــوان مختلفـات[2]

فليت شعري لو رأى ما آل إليه أمرها . بعد أن هجرت طوعا وكرها . ماذا كان يقول ؟!!!

لذا لا بد من الرقي باللغة العربية عند جميع الناس عموما، وعند المفسرين خصوصا ؛ لأن فطاحل العربية هم أئمة التفسير قديما وحديثا: ففي القديم نجد الزمخشري [ت٥٣٨هـ] وابن عطية [ت٥٤٢هـ]] وفي الحديث نجد ابن عاشور [ت١٣٩٣هـ] والشعراوي [ت١٤١٨هـ] ولا شك أنهم جميعا من أعظم أعلام العربية، ولا يشق لهم غبار في التفسير ٠

٢ . أن علوم البلاغة لا يدرسها طلاب التفسير، بلهَ (التقديم والتأخير) في مراحل التعليم المختلفة ؛ لـذا نجد كثيرا من المتخصصين في التفســير لا يتقنون هذا الفن ٠

٣ . أن كتب البلاغة عندما تناولت هذا الموضوع، ذكرت له أمثلة من القرآن الكريم، والشعر العربي، ولم يقم أحد ـ فيما أعلم ـ بحصر جميع المواضع في

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٢/ ٣٥ ٠

(٢) هذه الأبيات من الطويل، وهي قصيدة طويلة قالها شاعر النيل: محمد حافظ إبراهيم في رثاء اللغة العربية سنة: ١٩٠٣م انظر: ديوانه: ص: ٢٥٥ ؛ في الأدب الحديث: ٢/ ٥٠

القرآن الكريم، حتى من أفردوا دراستهم في خصائص التعبير القرآني مثل: د./ عبد العظيم المطعني [ت١٤٢٩هـ] [١] .

وقد تحدث فيه عن التقديم والتأخير بكل صوره ؛ فلم يستقص المواضع كلها، ولم يضع لها ضوابط عامة، تربي ملكة للباحثين والدارسين ؛ فضلا عن أن التقديم والتأخير في المتشابه اللفظي له طابع خاص يختلف عن الطابع العام للتقديم والتأخير ؛ ذلك أن المتشابه اللفظي في القرآن الكريم هو: أن تأتي الكلمة في موضعين أو أكثر بيد أنها تأتي في بعض هذه المواضع في موضعها الأصلي، وفي بعضها تقدم عليه ، ومن المفترض أنها إذا جاءت في موضعها لا يسأل عن سر لهذا التعبير ؛لأن (ما جاء على أصله لا يسأل عن علته) ولكن القرآن الكريم امتاز عن سائر الكلام العربي ؛ لأنه يقال: إذا كان التقديم أبلغ فلماذا لم تأت المواضع كلها بالتقديم، وإذا كان التأخير أبلغ فلماذا لم تأت المواضع كلها بالتأخير، ومن هنا يسأل عن سر لكل موضع، ؛ لذا تبين لي ـ بعد طول اطلاع ـ في هذين العلمين الواسعين: أعني علم المتشابه اللفظي، وعلم التقديم والتأخير أنه يمكن جعل قواعد عامة لتوجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم يستطيع الباحث والدارس في المتشابه اللفظي أن يقيس ما لم يجد له توجيها على هذه القواعد الكلية وهذه طريقة مهمة لتيسير هذا العلم الواسع.

لذا رأيت لزاما علي أن أحصر مواضع التقديم والتأخير في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، مبينا المنهج الصحيح في توجيه هذا اللون من المتشابه ؛ لأقدمه للمكتبة القرآنية ؛ ليكون للطلاب قنديلا، وللباحثين هاديا ودليلا، عسى الله ﷻ . أن يجعله في ميزان حسناتي ؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه .

الدراسات السابقة:

الف في المتشابه اللفظي وتوجيهه العديد من المؤلفات قديما وحديثا منها ما يلي:

١- درة التنزيل وغرة التأويل ـ تأليف/ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي [ت: ٤٢٠هـ] .

(١) انظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: ٢/ ٧٩ ، ٢٠١

٢- البرهان في توجيه متشابه القرآن ـ تأليف / محمود بن حمزة بن نصر، الكرماني [ت: ٥٠٥هـ] ٠
٣- المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية ـ رسالة دكتوراه ـ إعداد الباحث/ صالح بن عبد الله بن محمد الشثري ـ إشراف / أ.د محمد محمد أبو موسي ـ ١٤٢١هـ ٢٠٠١م ٠
٤- من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم ـ تأليف/ محمد بن علي بن محمد الصامل ـ ط/ دار إشبيليا ـ السعودية ـ الأولي ـ ١٤٢٢هـ ٠

كما ألفت كتب ورسائل عديدة في التقديم والتأخير منها ما يلي:

١-أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم ـ تأليف/ الدكتور/ محمد السيد شيخون ـ ط / مكتبة الكليات الأزهرية ـ الأولي ـ ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م ٠
٢- دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم دراسة تحليلية ـ تأليف/ دكتور/ منير محمود المسيري ـ ط/ مكتبة وهبه ـ الأولي ـ ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م ٠
٣- بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم ـ تأليف/ علي أبو القاسم عون ـ ط/ دار المدار الإسلامي ـ بيروت ـ ٢٠٠٦م ٠

يضاف إلى ذلك كتب كثيرة في البلاغة وعلوم القرآن تضمنت في ثناياها مباحث تتعلق بالتقديم والتأخير ٠

ما تميز به هذا البحث على ما سبقه:

تميز هذا البحث على الدراسات السابقة بما يلي:

أنني درست فيه نوعا واحدا من أنواع المتشابه الثمانية مما جعله بحثا مركزا لا يشوش فكر الباحثين والدارسين ٠

٢ ـ أنني اتبعت فيه المنهج الاستقرائي، أما الدراسات الأخرى فكان الكاتب يغفل بعض الآيات إما عمدا لأنه لا يجد لها سرا، وإما سهوا ؛ لكونه يدرس جميع أنواع المتشابه ٠

٣ ـ أنني اتبعت فيه المنهج الموضوعي مما جعله خاليا من التكرار ؛ ذلك أن الدراسات التحليلية تجعل الكاتب يكرر السر البلاغي في كل موضع ٠

مشكلة البحث:

من أهم المشكلات التي واجهتني في هذه الدراسة ما يلي:

١ ـ أن البحث في هذا الموضوع يعتمد على الاجتهاد وإعمال العقل، مما جعل الدراسات السابقة تشتمل على آراء كثيرة، وربما تكون لها وجهات نظر متباينة، مما جعل تتبعها وقراءتها عسيرا، وتنقيتها وتصفيتها أشد عسرا ٠

٢ ـ أن بعض الباحثين والكاتبين اتخذوا من الأسرار العامة للتقديم والتأخير مشجبا يعلقون عليه عجزهم عن الوصول إلى الأسرار العميقة لهذه الظاهرة،

ومن هذه الأسرار العامة:

(أ) الاهتمام بالمقدم، والتشويق للمؤخر ٠

(ب) التفنن في التعبير ٠

(ج) مراعاة حق الفواصل

(د) ولهذا عملت جاهدا على التنقيب عن حِكَم خاصة، بعيدا عن هذه الحِكَم العامة ٠

وقد عرّفه البعض بأنه: " ما يسبق الكلام المراد تفسيره، وما يلحقه من المعاني والألفاظ الواردة في مقطعٍ واحدٍ متصلٍ بموضوعه، مع الغرض من إيراده" (٢).

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي الموضوعي ؛ فجمعت الآيات التي تكررت أكثر من مرة في القرآن الكريم ووقع فيها تقديم وتأخير ثم قسمتها إلى مباحث حسبما اقتضته طبيعة الموضوع

ثم بينت وجه التقديم والتأخير بوضع قاعدة عامة للمواضع التي يجمعها طابع خاص، ثم بينت الحكمة التي جعلت بعض المواضع تخرج عن هذا الضابط ٠

خطة البحث

اقتضت طبيعة هذا البحث أن يخرج في مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث وخاتمة

أما المقدمة؛ فبينت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، ومنهج البحث وخطته

وأما التمهيد ؛ فعنوانه: التقديم والتأخير وقيمته البلاغية ٠

وفيه عرفت التقديم والتأخير لغة واصطلاحا، ثم بينت أهميته البلاغية في تركيب الجملة العربية٠

وأما المبحث الأول ؛ فعنوانه: **التقديم والتأخير لمراعاة السياق** ٠

وأما المبحث الثاني ؛ فعنوانه: **التقديم والتأخير لمراعاة حال المنوط بالحديث**

وأما المبحث الثالث ؛ فعنوانه: **التقديم والتأخير لقصد الترتيب** ٠

وأما المبحث الرابع ؛ فعنوانه: التقديم والتأخير لمراعاة التناسب النحوي

وأما الخاتمة ؛ فبينت فيها نتائج البحث، وتوصيات الباحث ٠

ثم إنني عزوت الآيات القرآنية إلى سورها ؛ وخرجت الأحاديث النبوية، والآثار تخريجا علميا، وبينت معاني الكلمات الغريبة، وخرجت الأشعار من مصادرها، ووثقت الآراء التفسيرية من مصادرها الأصيلة ٠

وبعـــد ٠٠

فهذا جهد المقل ؛ فما كان من توفيق فمن الله وحده، وما كان من تقصير فمن نفسي والشيطان، والله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ؛ إنه نعم المولى، ونعم النصير ٠

تمهيد

تعريف التقديم والتأخير وقيمته البلاغية

أولا: التقديم في اللغة: مصدر الفعل (قدم) بتشديد الدال يقال: قدم يقدم تقديما وتقدمة ؛ فهو مقدم ٠

القدَم: خلَاف الحدوث. وَيقَال: شَيء قَديم، إذَا كَانَ زَمَانه سَالفا. وَأَصله قَولهم: مَضَى فلَان قدما: لَم يعَرج وَلَم يَنثَن

والمقَدم: من أَسماءه تَعَالَى، وهوَ الذي يقَدم الأَشياءَ وَيَضَعهَا في مَوَاضعهَا، فَمَن استَحَق التقديم قدمه [١]

وَقَدَم الإنسَان مَعروفَة، وهي واحدة الأقدام، وسميَت بذَلكَ لأَنهَا آلَة للتقَدم وَالسبق.

والقدم، والقدمة: السابقَة في الأمر ،يقال: رجل قدم، وَامرَأَة قدمة: يَعني: أَن لَهما قدم صدق في الخَير، وَقدم الصدق: المنزلَة الرفيعة. وَمنه قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ ﴾ [٢] : أَي سَابق خير وأثرا حسنا

وَقدام: نقيض وَرَاء، ومقَدمَة كل شَيء: أَوله، وَقَدمَهم يقدمهم قدما، وقدوما، وَقَدمَهم كلَاهمَا: صَار أمامهم، ومنه قوله تعالى: ﴿ يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ [٣] ٠

وَرجل قدم: مقتحم للأمور شجاع [٤] ٠

ثانيا: التأخير في اللغة: مصدر الفعل (أخر) بتشديد الخاء، والتأخير: ضد التقديم، واستأخَرَ كتأَخر. وَفي التنزيل: ﴿ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾ [٥] ٠

---

(١) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي: ٢٣٨

(٢) سورة: يونس: جزء من الآية ٢

(٣) سورة: هود: جزء من الآية ٩٨

(٤) انظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٦/ ٣٢٢، ٣٢٣ ؛ مقاييس اللغة: ٥/ ٦٥ / ٦٦ ؛ لسان العرب: ١٢/ ٤٦٥، ٤٦٦ (قدم) ٠

(٥) سورة: النحل: جزء من الآية ٦١

وفي أَسماء الله تَعَالَى: الآخر والمؤخر، فالآخر هوَ البَاقي بَعدَ فَنَاء خلقه كله ناطقه وصامته، والمؤخر

هوَ الذي يؤَخر الأَشياءَ فَيضعها في مواضعها،

والآخر: بكسر الخاء خلاف الأَول، والأنثَى آخرَة، و "الآخَر –كهاجر: أحد الشيئين وهو اسم على أفعل، وهو، بمعنى (غير) كقولك: رجل آخَر، وثوب آخَر، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ ﴾ (١)، وأَصله أَفعَل منَ التأَخر، فَلَما اجتَمَعَت هَمزَتَان في حَرف وَاحد استثقلتا فأَبدلت الثانيَة أَلفا لسكونهَا وَانفتَاح الأولى قَبلَهَا. والأنثى أخرَى، إلا أَن فيه مَعنَى الصفَة لأَن أَفعل من كَذَا لَا يَكون إلا في الصفَة، ومنه قَوله ـ ﷻ ـ: ﴿ وَلِيَ فِيهَا مََٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴾ (٢)،]، وكل ما في القرآن من (آخَر) ومثناه وجمعه و (أخرى) وجمعها (أخَر) فهو من هذا المعنى(٣) .

ثالثا: التقديم والتأخير في اصطلاح علماء اللغة هو: التغيير في الترتيب الطبيعي لأجزاء الجملة؛ لغرض بلاغي كزيادة الاهتمام أو القَصر أو التشويق أو لضرورة شعرية (٤) .

وهذه الأغراض كلها واقعة في القرآن الكريم، غير أنه لا يجوز حمل القرآن الكريم على الضرورة

رابعا: القيمة البلاغية للتقديم والتأخير:

إن نظرة النحاة للتقديم والتأخير تختلف عن نظرة البلاغيين لهذا الفن ؛ ذلك أن النحاة ينظرون إليه من جهة: الوجوب والجواز والمنع ؛ وأما البلاغيون فلا يعنون بالواجب والممتنع ؛ لأن هذا لو صدر من المتكلم ؛ لكان عيا وعيبا لا

(١) سورة: المائدة: جزء من الآية ٢٧
(٢) سورة: طه: جزء من الآية ١٨
(٣) انظر: لسان العرب: ٤/ ١١ ـ ١٣ ؛ المعجم الاشتقاقي المؤصل: ١/ ٥٤٣، ٥٤٤ (أ خ ر) .
(٤) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: ٣/ ١٧٨٥ (قدم)

يعبأ به، فضلا عن أن يوزن بميزان البلغاء، وإذا نظروا إلى جانب منه ؛ فإنما ينظرون إليه ؛ لينبهوا على ضرورة الاحتراز منه، وأنه بمعزل عن الفصاحة والبلاغة

البراعة في تأليف الجملة العربية:

من المسلم به أن المتعلقات في الجملة العربية ليس فيما بينها ترتيب محفوظ يلزم إذا لم يكن ما يقتضي العدول عنه،إلا أن يكون المفعول به، فمن قال: (أعنت محمدا ليلة سفره بألف دينار محبة له)، أو قال: (أعنت محمدا محبة له بألف دينار ليلة سفره)، لا يكون أحدهما هو الأصل والآخر عدولا عنه، بل يكون في كل صورة إلاحَة إلى ما هو المهم عندك أو عنده [١] .

ومن هنا كان تقديم بعض المعمولات على بعض لا يكون إلا بكون ذلك البعض أهم، لكن ينبغي أن يفسر وجه العناية بشأنه، ويعرف له معنى، ولا يكفي أن يقال: قدم للعناية والاهتمام، من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية؟؛ لأن الأهمية نفسها حكم يفتقر إلى علة توجبها، إذ الأهمية بالشيء هي الاعتناء به، والاعتناء لا بد له من سبب [٢] .

فإذا قيل لك مثلا: لماذا قدم الله السماء على الأرض هنا؟

قلت: لأن الاهتمام بالسماء هنا أكبر.

ثم إذا قيل لك: ولماذا قدم الله الأرض على السماء في هذه الآية؟

قلت: لأن الاهتمام بالأرض هنا أكبر.

فإذا قيل لك: ولماذا كان الاهتمام بالسماء هناك أكبر وكان الاهتمام بالأرض هنا أكبر؟

وجب عليك أن تبين سبب ذلك وبيان الاختلاف بين الموطنين، بحيث تبين أنه لا يصح أو لا يَحسن تقديم الأرض على السماء فيما قدمت فيه السماء، أو تقديم السماء على الأرض فيما قدمت فيه الأرض بيانا شافيا. وكذلك بقية المواطن الأخرى. أما أن تكتفي بعبارة أن هذه اللفظة قدمت للعناية والاهتمام

(١) انظر: شذرات الذهب: ص: ٩٩ .

(٢) انظر: دلائل الإعجاز (ص: ٩٨)

بها فهذا وجه من وجوه الإبهام. والاكتفاء بها يضيع معرفة التمايز بين الأساليب فلا تعرف الأسلوب العالي الرفيع من الأسلوب المهلهل السخيف، إذ كل واحد يقول لك: إن عنايتي بهذه اللفظة هنا أكبر دون البصر بما يستحقه المقام وما يقتضيه السياق [١] ٠

وبهذا يكون ذكر الأهمية كالقانون الجامع الذي له مظاهر وتجليات كثيرة تدور في فلك الانفعالات النفسية من تعجب واستعظام وفرح وحزن وتفاؤل وتشاؤم ومدح وذم وتشويق وتبكيت، باعتبار أن الأهمية هي المعنى المقتضي للتقديم، وجميع هذه الأمور تفاصيل له، على أن هذه المعاني النفسية لا تنحصر، والذي يطبع هذه الظاهرة الأسلوبية البلاغية ويحكمها هو الأبعاد النفسية الانطباعية، ذلك أن النفس تعنى وتتطلع إلى تقديم الذي بيانه لها أهم، وهي بشأنه أعنى، فقد يشغل نفسَ المتلقي أمر من الأمور، وتتطلع إلى خبره، وتتشوق إلى ما تم بشأنه، لكون التعرف عليه مهما لديها، أو لأن أمورا مهمة تترتب عليه، فحينئذ يقدم فيه ما انعقد القلب به، وإن كان حقه الترتيبي من حيث الوجود الذهني التأخير، وذلك حتى يعجل للنفس ما تريد التعرف عليه فتطمئن وتستقر؛ لكي يكون التعبير أكثر قدرة وقابلية على التأثير والإثارة، وإلا فقَدَ النص قيمته لانشغال النفس عما يرد فيه بما تعلقت به وتأخر بيانه في النطق) [٢] ٠

وإغفال بعض المشتغلين بعلوم البلاغة، أو تغافلهم عن هذا القانون جعلهم يقصرون في أمر التقديم والتأخير، حتى هونوا الخطب فيه، الأمر الذي جعلهم ينشغلون عن الغوص في فنون البلاغة، ومنعهم أن يعرفوا مقاديرها، ويتقنوا دقائقها ٠

والحق أن رتَب عناصر الجملة تشبه رتَب جلساء رئيس القوم، فإذا قدم الرئيس إلى جواره من هو في العادة يجلس بعيدا عنه بحسب رتبته، فإنما يقَدمه

(١) انظر: أسرار البيان في التعبير القرآني: ٧٣
(٢) انظر: دلائل الإعجاز: ٩٨ ٠

لغاية يفهمها الفطناء، فإذا وضعه في موضع وزيره الأول، أدرك أهل الفطانة أنه مهتَم به وبتكريمه، أو أنه سوف يستوزره [١] .

فإذا كانت الواو لمطلق الجمع، ولا تقتضى ترتيبا، ولا تعقيبا، فليس معنى ذلك أن الآية القرآنية تجمع بها معطوفات على غير ترتيب ولا نظام، وإذا كان من الجائز أن يتقدم بعض أجزاء الجملة على بعض، فقد حرصت الجملة في القرآن، على أن يكون هذا التقديم، مشيرا إلى مغزى، دالا على هدف، حتى تصبح الآية بتكوينها، تابعة لمنهج نفسى، يتقدم عندها فيها ما تجد النفس تقديمه أفضل من التأخير، فيتقدم مثلا بعض أجزاء الجملة حين يكون المحور الذى يدور عليه الحديث وحده، فيكون هو المقصود والمعنى، والنفس يتقدم عندها من يكون هذا شأنه، فلا جرم أن يتقدم في الجملة، كما تقدم في النفس، ويدعو البلاغيون هذا التقديم بالاختصاص،

وهكذا نرى القرآن الكريم، لا ينهج في ترتيب كلماته سوى هذا المنهج الفني الذى يقدم ما يقدم، لمعنى نفهمه وراء رصف الألفاظ، وحكمة ندركها من هذا النسج المحكم المتين [٢] .

ومعنى ذلك أَنه قد يكون من أغراض الناس في فعل ما أن يَقَع بإنسان بعينه، ولا يبالون مَن أَوقَعَه، كَمثل ما يعلم من حالهم في حال الخارجيَ يَخرج فيعيث ويفسد، ويَكثر به الأذى، أَنهم يريدون قتله، ولا يبالون مَن كانَ القتل منه، ولا يَعنيهم منه شيء. فإذا قتل، وأرادَ مريد الإخبارَ بذلك، فإنه يقدَم ذكرَ الخارجيَ فيقول: "قَتَلَ الخارجي زيد"، ولا يقول: "قتلَ زيد الخارجي"، لأنه يعلم أن ليس للناس في أن يعلموا أن القاتلَ له "زيد" جَدوى وفائدة، فيَعنيهم ذكره ويهمهم ويتصل بمسرتهم ويَعلم من حالهم أَن الذي هم متوقعون له ومتَطلعون إليه متى يكون، وقوع القتل بالخارجي المفسد، وأَنهم قد كفوا شره وتخلصوا منه.

ثم قالوا: فإن كان رجل ليس له بأس ولا يقَدر فيه أنه يَقتل، فقَتَلَ رجلا، وأراد المخبر أن يخبر بذلك، فإن يقدم ذكرَ القاتل فيقول: "قتلَ زيد رجلا"، ذاك

(١) انظر: البلاغة العربية: ١/ ١٤٦ .
(٢) انظر: من بلاغة القرآن: ٩٠ .

لأَن الذي يَعنيه ويَعني الناسَ من شأن هذا القتل، طرافَته وموضع الندرة فيه، وبعده كان منَ الظن ومعلوم أَنه لم يكن نادرا وبعيدا من حيث كان واقعا بالذي وَقَع به، ولكن من حيث كان واقعا منَ الذي وقعَ منه.

فهذا جيد بالغ، إلا أن الشأنَ في أَنه يَنبغي أن يعرَفَ في كلَ شيء قدمَ في موضع من الكلام مثل هذا المعنى، ويفسر وجه العناية فيه هذا التفسير[1].

موقف القرآن الكريم من التقديم والتأخير :

إن فن التقديم والتأخير فن رفيع يعرفه أهل البصر بالتعبير والذين أوتوا حظا من معرفة مواقع الكلام وليس ادعاء يدعى أو كلمة تقال ٠

وقد بلغ القرآن الكريم في هذا الفن الذروة في وضع الكلمات الوضعَ الذي تستحقه في التعبير بحيث تستقر في مكانها المناسب، ولم يكتف القرآن الكريم في وضع اللفظة بمراعاة السياق الذي وردت فيه بل راعى جميع المواضع التي وردت فيها اللفظة ونظر إليها نظرة واحدة شاملة في القرآن الكريم كله. فترى التعبير متسقا متناسقا مع غيره من التعبيرات كأنه لوحة فنية واحدة مكتملة متكاملة ٠

إن القرآن الكريم دقيق في وضع الألفاظ ورصفها بجنب بعض دقة عجيبة فقد تكون له خطوط عامة في التقديم والتأخير، وقد تكون هناك مواطن تقتضي تقديم هذه اللفظة أو تلك، كل ذلك مراعى فيه سياق الكلام والاتساق العام في التعبير على أكمل وجه وأبهى صورة [2] ٠

وبذلك يتضح أنه من المسلم به أن معنى الجملة ليس هو مجموع معاني المفردات التي تتألف منها، بل هو حصيلة تركيب هذه المفردات في نمط معين حسب قواعد لغوية محددة، تماما كما أن الساعة مثلا، ليست مجموع القطع المعدنية التي تتألف منها، وإنما هي آلة تتكون من هذه القطع حسب قواعد

(١) انظر: دلائل الإعجاز: ٩٧ ٠
(٢) انظر: أسرار البيان في التعبير القرآني: ٥٧

معدنية، لتؤدي وظيفة لا تؤديها أي من القطع وحدها، ولا تؤديها كل القطع مجتمعة إلا إذا ركبت بطريقة محددة.

وكذلك اختيار نسق الجملة وكيفية ترتيب الأجزاء فيها مما ينبغي أن يؤخذ بعين الاعتبار في أثناء عملية الاختيار البنائي للجملة [١] .

وعلى هذا فتقديم ما هو متأخر، وتأخير ما هو متقدم لمناسبة تقتضي ذلك جائز لا مشاحة فيه. بيد أن هذا الجواز ليس مجانيا، بل ما من مقدم أو مؤخر يزَال عن موضعه إلا ويترك ظلالا معنوية يخالف الوضع الثاني فيها الوضع الأول .

(١) انظر: الجملة القرآنية بين الاسمية والفعلية ـ د./ أسامة عبد العزيز جاد الله ـ كلية الآداب جامعة كفر الشيخ ـ بحث منشور على موقع منتدى الفصيح ـ على شبكة الإنترنت

المبحث الأول

التقديم والتأخير لمراعاة السياق

إن السياق هو: مجموع النص الذي يحيط بالجملة التي يراد فهمها، وعليه يتوقف الفهم السليم (١) .

ومن هنا كان من أسباب التقديم والتأخير في القرآن الكريم التناسب مع السياق، وذلك بأن يكون السياق بعد ذلك مرتبا حسب ترتيب التقديم والتأخير السابق له، أو أن يكون موضوع الكلمة المقدمة هو الغالب على السياق .

والسياق له أثر كبير في ترتيب الجملة، حتى إنه إذا تعارض مع الأغراض العامة للتقديم والتأخير: كالترتيب الرتبي، أو الزمني، أو العددي، أو نحو ذلك رجحت كفة السياق ؛ فخولف الترتيب لمراعاته .

ذلك أن دَلَالَة السيَاق ترشد إِلَى تَبيين المجمَل وَالقَطع بعَدَم احتمَال غَير المرَاد وَتَخصيص العَام وَتَقييد المطلَق وَتَنَوع الدلَالَة وَهوَ من أَعظَم القَرَائن الدالة عَلَى مرَاد المتَكَلم فَمَن أَهمَلَه غَلطَ في نَظيره وَغَالَطَ في مناظَرَاته (٢) .

وعلى هذا فإذا احتمل الكلام معنيين وكان حمله على أحدهما أوضح وأشد موافقة للسياق كان الحمل عليه أولى .

ومن أمثلة التقديم والتأخير في القرآن الكريم لمراعاة السياق ما يلي:

١ ـ تقديم المسكنة وتأخيرها:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ (٣) .

---

(١) انظر: السياق في الاصطلاح التفسيري مفهومه ودوره الترجيحي ـ د./ محمد إقبال عروي ـ ص: ١

(٢) انظر:

(٣) سورة: البقرة: جزء من الآية ٦١

وقال - ﷻ -: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ﴾ (١) .

فقد اقتضى سياق هاتين الآيتين أن تقدم المسكنة في سورة: البقرة، ويقدم غضب الله في آل عمران ؛ وذلك أنهم لما سألوا في سورة: البقرة عن مأكلهم ما فيه خسة وما يستلزم الذلة والصغار والمهنة في التوصل إلى الانتفاع به وذلك ما طلبوه في قولهم: ﴿ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ﴾ عوضاً مما لا تكلف فيه ولا مشقة من المن والسلوى الذى كان ينزل عليهم عند الحاجة بغير مؤنة ولهذا قيل لهم:) أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ﴾ فلما سألوا ما يستلزم مهنة النفس ودناءة الحال ناسب ذلك أن يقدم ضرب الذلة والمسكنة عليهم ثم أعقب ذلك ما باءوا به من غضب الله الذى سبق به القدر عليهم .

ولما تقدم في سورة: آل عمران قوله تعالى:) لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ (٢) ناسب هذا تقديم ما لا نصرة لهم معه ولا فلاح وهو ما باءوا به من غضب الله عليهم فقال تعالى:) وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ (٣) .

٢ –تقديم القلوب وتأخيرها:

قال الله تعالى:) وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ (٤) .

وقال - ﷻ -:) وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٥) .

أن آية آل عمران لما تقدم فيها قوله تعالى: "ويأتوكم من فورهم " فأخبر عنهم وعن عدوهم فاختلط ذكر الطائفتين وضمهما كلام واحد؛ فاقتضى ذلك

(١) سورة: آل عمران: جزء من آية ١١٢
(٢) سورة: آل عمران: ١١١
(٣) انظر: ملاك التأويل: ١/ ٤١ .
(٤) سورة: آل عمران: ١٢٦
(٥) سورة: الأنفال: ١٠

تقديم القلوب ليبين أن قلوبهم هي المطمئنة بذلك فقيل "ولتطمئن قلوبكم به"، فقدمت القلوب على المجرور اعتناء وبشارة ليمتاز أهلها ممن ليس لهم نصيب

وأما تقديم المجرور في سورة: الأنفال في قوله: ﴿ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡ ﴾ يفيد الاختصاص، فيكون المعنى: ولتطمئن به قلوبكم لا بغيره، وفي هذا الاختصاص تعريض بما اعتراهم من الوجل من الطائفة ذات الشوكة بغنم العروض التي كانت مع العير، فعرض لهم [1] .

على أن الترتيب الواقع في سورة آل عمران جاء على الأصل اللغوي، حيث جاء الفعل، ثم الفاعل، ثم المتعلق (به) الذي هو بمنزلة المفعول؛ وأما سورة: الأنفال فخصت بهذا التقديم الذي أفاد الاختصاص؛ لأن آية (الأنفال) جاءت في معرض استغاثة المؤمنين بربهم يوم بدر، والمستغيث: متشوق لما يغاث به

في موطن الخوف وطلب النجدة فجاء قوله تعالى: ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ۝٩ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡ ﴾ [2]، فقدم ضمير الإمداد مع عامله على القلوب لاهتمامهم به، وشدة حاجتهم إليه، لأنه موضع رجائهم .

وأما آية الأنفال ؛ ففيها حكاية ما حدث يوم " بدر "، وتذكير لهم بما صنع الله معهم فيها، ووعدا أن يصنعه في " أحد " لو صبروا واتقوا ؛فلم يصبروا عن الغنائم، ولم يتقوا حيث خالفوا أمر رسول الله ـ ﷺ ـ فلذلك لم تنزل الملائكة ؛ فأخرج الكلام فيها مخرج الوعد المشروط، حيث قال تعالى: ﴿ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۝١٢٥ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ﴾ [3] .

(١) انظر: التحرير والتنوير: ٩/ ٣٤ .
(٢) سورة: الأنفال: جزء من الآية ٩
(٣) سورة: آل عمران: (١٢٥، ١٢٦)

وعلى هذا فآية (الأنفال) الخطاب فيها مؤسس، فروعي فيها ما روعي من مقتضيات الأحوال، وآية آل عمران، حكاية حال مضت وفرق بين ما بين ما يؤسس وما يحكى؛ فلذلك اقتضى الحال في آل عمران أن يأتي التعبير التعبير فيها على الأصل إذ لا مقتضى للعدول عنه [١] .

٣-تقديم كلمة (شهيدا) وتأخيرها:

قال الله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [٢] . "

وقال ـ ﷻ ـ: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ [٣] .

والجواب عن ذلك: أن آية النحل تقدمها قوله تعالى:) وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ ؛ فتقدم اسم الشهيد على المشهود عليه فورد ما نسق على ذلك من الإخبار بشهادته ـ ﷺ ـ على أمته مرتبا على ما تقدمه من مقتضى النظم في التناظر والتناسب .

أما آية النساء فلم يرد فيها إفصاح بذكر المشهود عليهم ولا كناية عنهم بضمير ولا اسم إشارة بل في آية النساء داع إلى تقدم المجرور بـ على وهو أنه لما تقدم قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ ﴾ [٤]، وذلك من صفة المنافقين ناسب هذا تقديم المجرور في قوله "وجئنا بك على هؤلاء شهيدا " حتى كأنه بحسب المفهوم لم يقصد به غيرهم ولا شهد على من سواهم .

وأما آية النحل فالظاهر مما تقدمها أن المراد جميع من بعث إليهم ـ ﷺ ـ من صالح وطالح [٥] .

---

(١) انظر: خصائص التعبير القرآني: ٢/ ١٦٨ ـ ١٧٠ .
(٢) سورة: النساء: ٤١
(٣) سورة: النحل: جزء من الآية ٨٩
(٤) سورة: النساء: جزر من الآية ٣٨
(٥) انظر: ملاك التأويل: ١/ ١٠٣ .

٤-تقديم كلمة (أواه) في (براءة) وتأخيرها في (هود)

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ (١) .

وقال ـ ﷻ ـ: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ (٢) .

فقد تقدم في الأولى الوصف بأواه على حليم وتأخر في الثانية وتقدم فيها وصفه بحليم.

والسر في ذلك: ان الأواه الكثير التأوه والتأوه: التفجع فالمراد بالآية أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ مع غلظة أبيه وقساوته حتى قال له: ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾ (٣)، وإبراهيم ـ عليه السلام ـ مع ذلك يتأوه تأسفا وتحسرا على إباية أبيه عن إجابته واتباعه فكان ـ عليه السلام ـ لفرط ترحمه ورأفته وحلمه يتعطف على أبيه ويستغفر له ولم يزل على ذلك إلى أن تبين له أنه عدو لله فتبرأ منه فأخبر الله تعالى نبيه محمدا ـ ﷺ ـ بما كان من أبيه إبراهيم في ذلك ليقتدي به ويهتدي بهديه فقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ (٤)، وأعلمه تعالى بعذر إبراهيم في استغفاره وأن ذلك كان عن موعدة تقدمت منه لأبيه فتقدم وصف إبراهيم ـ عليه السلام ـ في هذه الآية بأنه أواه وذلك مناسب لهذا السياق أما آية هود فمنزلة على ما ذكر سبحانه من مجادلته في قوم لوط جريا على ما وصفه سبحانه به من الحلم فكان تقديم وصفه هنا بالحلم أنسب وأجرى على ما بنى عليه (٥) .

٥-تقديم إنزال القرآن وتأخيره:

قال الله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ (٦) .

---

(١) سورة: التوبة: جزء من الآية ١١٤
(٢) سورة: هود: ٧٥
(٣) سورة: مريم: جزء من الآية ٤٦
(٤) سورة: التوبة: ١١٣
(٥) انظر: المحرر الوجيز: ٣/ ٩١ ؛ ملاك التأويل: ١/ ٢٣٦ .
(٦) سورة: الأنعام: جزء من الآية ٩٢

وقال ـ ﷻ ـ: ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ ﴾ (١) .

قدم الإنزال ههنا وأخره في الأنبياء؟ .

والسر في ذلك: أنه قدم الإنزال ههنا ردا على قول فنحاص بن عازوراء: عازوراء: ﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ (٢)؛ فبدأ به اهتماما به، ولأنه أحد الكتب سماوية فناسب البداءة بالإنزال .

وأما في سورة الأنبياء في الحديث عن الذكر، فجاءت على الأصل في في تقديم الوصف المفرد في النكرة على الجملة (٣) .

٦-تقديم قارون وتأخيره:

قال الله تعالى: ﴿ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ﴾ (٤) .

وقال ـ ﷻ ـ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٢٣ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ (٥) .

ففي الآية الأولى قدم قارون لمناسبته السياق من عدة أوجه، منها:

١ ـ أن الآية السابقة ختمت بقوله تعالى: ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ (٦)، وكان قارون أشدهم بصيرة لحفظه التوراة، وقرابة موسى، ناسب تقديم ذكره؛ فحاله أوفق بحال عاد وثمود ولم يفده الاستبصار شيئا كما لم يفدهم كونهم مستبصرين .

٢ ـ أن من أغراض القصص القرآني تسلية النبي ـ ﷺ ـ فيما لقي من قومه لحسدهم له، وقارون كان من قوم موسى ـ عليه السلام ـ وقد لقي منه ما لقي .

٣ ـ أنه كان أشرف من فرعون وهامان لإيمانه في الظاهر وعلمه بالتوراة وكونه ذا قرابة من موسى ـ عليه السلام ـ، ويكون في تقديمه لذلك في مقام الغضب

---

(١) سورة: الأنبياء: جزء من الآية ٥٠

(٢) سورة: الأنعام: جزء من الآية ٩١

(٣) انظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني:١٧١ ؛ التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل: ٣/ ١٥١ ؛ شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو: ١/ ٣٥٠ .

(٤) سورة: العنكبوت: جزء من الآية ٣٩

(٥) سورة: غافر: (٢٣، ٢٤)

(٦) سورة: العنكبوت: جزء من الآية ٣٨

إشارة إلى أن نحو هذا الشرف لا يفيد شيئا ولا ينقذ من غضب الله تعالى على الكفر ٠

٤ ـ أن القصص القرآني سيق لتحذير أهل مكة من أن يحل بهم كما حل بمن سبقهم؛ وفي تقديم قارون تنبيه لكفار قريش ان شرف نسبهم يخلصهم من العذاب كما لم يخلص قارون [١] ٠

وأما الآية الثانية في سورة (غافر) فجاءت في سياق الحديث عن وموسى ـ عليه السلام ـ أرسل إلى فرعون بطريق الأصالة، والحديث قبل هذه وبعدها عن فرعون وعناده، وأما قارون فهو خارج السياق [٢]

٧-تقديم خلق الإنسان على التعليم وتأخيره عنه:

قال الله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴾ [٣] ٠

وقال ـ ﷻ ـ: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴾[٤]

والسر في ذلك: أن سورة " اقرأ " أول ما نزل من القرآن ولم يكن القرآن معهودا للنبي ـ ﷺ ـ ولا لغيره، ٠

وأما سورة الرحمن؛ فنزلت بعد معرفة القرآن، وشهرته عندهم، فكان الابتداء بما يعرفه من تقديم الخلق في سورة (اقرأ) أنسب من القرآن الذي لم يعهده وكان الابتداء بتعليم القرآن الذي أصبح معروفا في سورة الرحمن أنسب لسياق ما وردت به السورة من عظيم المنة على العباد [٥] ٠

٨-تقديم كلمة (في سبيل الله) وتأخيرها:

قال الله تعالى: ﴿ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ ﴾ [٦] ٠

---

(١) انظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني: ٢٩٠ ؛ حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٧/ ١٠٠ ؛ روح البيان: ٦/ ٤٦٩ ؛ روح المعاني: ١٠/ ٣٦٢، ٣٦٣

(٢) انظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني: ٢٩٠

(٣) سورة: العلق: (١، ٢)

(٤) سورة: الرحمن: (١ . ٣)

(٥) انظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني: ٣٤٦ ٠

(٦) سورة: النساء: جزء من الآية ٩٥

وقال ـ ﷻ ـ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾ (١) .

وقال ـ ﷻ ـ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ ﴾ (٢) .

وقال تعالى: ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ (٣) .

بالتأمل في هذه الآيات ونظائرها يتبين أن بعضها قدم فيه كلمة (في سبيل الله)، وبعضها قدم فيه (بأموالهم وأنفسهم)، والحق أن تقديم أحد هذين المتعلقين على الآخر لا يرجع إلى تركيب الجملة الطبعي بحيث يكون تقديم أحدهما أولى من الآخر، وإنما هو لأمر راجع إلى بيان ما هو الأهم عند المتكلم، أو المخاطب فإذا قدمت الأموال والأنفس على السبيل فذلك لبيان أهمية ما يجاهد به، وتقديم السبيل إنما يكون لأمر راجع إلى بيان ما يجاهد فيه (٤) .

فإذا كان المقام في جمع وحفظ الأموال يبدأ بالتضحية به، وإذا كان السياق في القتال وليس في الأموال؛ يقدم (في سبيل الله) على الأموال.

فمثلا قوله تعالى في سورة الأنفال:) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ ﴾

إنما قدمت فيها الأموال لأنها جاءت في معرض الإنكار على المسلمين لما أسروا المشركين، ولم يقتلوهم طمعا في الفداء؛ فأنكر الله عليهم ذلك بقوله: ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ (٥) ؛ فلما

(١) سورة: التوبة: ٢٠
(٢) سورة: الأنفال: جزء من الآية ٧٢
(٣) سورة: التوبة: ٤١
(٤) انظر: شذرات الذهب: ١٣٦
(٥) سورة: الأنفال: جزء من الآية ٦٧

غفر الله لهم ذلك ؛ عقب ذلك/ بهذه الآية التي مدح فيها من أنفقوا أموالهم في سبيل الله، لا من يجاهد طلبا للنفع العاجل فقدم﴿ بأموالهم وأنفسهم ﴾ على قوله﴿ في سبيل الله ﴾ ليعلموا أن ذلك يجب أن يكون أهم لهم، وأولى بتقديمه عندهم صرفا لهم عما حرصوا عليه من فائدة الفداء ٠

فالسياق كله في المعاتبة على أخذ المال من الأسرى ٠

وأما قوله تعالى في سورة براءة: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾ (١) ٠

فسياق الآيات كلها عن الجهاد والقتال وليس المال لذا اقتضى تقديم **(فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ)** على الأموال والأنفس، بل إن سورة التوبة كلها في الجهاد وليست في الأموال (٢) ٠

٩ ـ تقديم كلمة﴿ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ ﴾ وتأخيرها:

قال الله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ ﴾ (٣)

وقال ـ ﷻ ـ: ﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ ﴾ (٤) ٠

بالتأمل في هاتين الآيتين يتبين أن الظرف: مِنۡ﴿ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ ﴾ جاء في موضعه الأصلي في سورة القصص؛لأن الفاعل﴿ رَجُلٞ ﴾ رتبته أن يلي الفعل ؛ فيقدم على المتعلقات ؛ فجاءت الآية على الأصل ؛ إذ لم يكن ثمت داع لتأخير الفاعل ٠

وأما في سورة: يس فقدم فيها الظرف لبيان أهمية كونه ﴿ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ ﴾، حيث جاء مناسبا للسياق ؛ لأن هذه القصة ضربت مثلا لقريش والأنصار من أهل المدينة، حيث جاء الأنصار وآمنوا به ـ ﷺ ـ مع بعد دارهم، وعاند عتاة قريش فكفروا مع قرب النسب واتحاد الدار،

(١) سورة: التوبة: ٢٠ ٠

(٢) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٣/ ٤٢٤ ؛ البرهان في توجيه متشابه القرآن: ص: ١٣٢ ؛ البرهان في توجيه متشابه القرآن =أسرار التكرار في القرآن: ٩٥ ٠

(٣) سورة: القصص: جزء من الآية ٢٠ ٠

(٤) سورة: يس: جزء من الآية ٢٠ ٠

ويوضح هذا أن السورة مكية، وأنها افتتحت بذكر قريش ؛ حيث إنهم المعنيون بقوله تعالى: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَـٰفِلُونَ ﴾ (١)، ثم قال ـ ﷻ ـ: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ (٢)، أي من انقاد وأصغى إليك وإن بعدت داره وهذا حال الأنصار، ثم قال:: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَـٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ (٣) ؛ أي الفريقين ممن كفر مع قرب داره ومن آمن مع بعد داره، وذكر تعالى أصحاب القرية (وحالهم مع من أرسل إليهم، وأنهم أُرْسِل إليهم اثنان ثم عززوا بثالث، فجاوبهم أصحاب القرية) المخاطبون مجاوبة الرد والتكذيب فقالوا: ﴿ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾ (٤)، كما قالت قريش: ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ (٥،٦)

ومن هذا يتبين أن السياق كان له دور بارز في تقديم الظرف، وأنه لا يجوز إغفال هذا السر، وادعاء أن التقديم والتأخير سواء ٠ **١٠ ـ تقديم قوله (في هذا القرآن) وتأخيره:**

(أ) قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾ (٧) ٠

(ب) وقال ـ ﷻ ـ: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ (٨) ٠

---

(١) سورة: يس: ٦ ٠
(٢) سورة: يس: ١١ ٠
(٣) سورة: يس: ١٣ ٠
(٤) سورة: يس: ١٥ ٠
(٥) سورة: القرقان: جزء من الآية ٧ ٠
(٦) انظر: ملاك التأويل: ٢/ ٣٨٣، ٣٨٤ ٠
(٧) سورة: الكهف: ٥٤
(٨) سورة: الإسراء:٨٩

ففي الآية الأولى قدم قوله: ﴿ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾ ؛ لأن ذِكْرُ الْقُرْآنِ أَهَمَّ بِالْأَصَالَةِ، كما أن السورة من أولها أشارت إلى فضل القرآن، وأثنت عليه، كما أن سورة الكهف ذكرت قصصا عديدة مثل: قصة أهل الكهف، وقصة الرجلين: الغني والفقير، وقصة موسى والخضر، وقصة ذي القرنين، ويأجوج ومأجوج، وفي ذكر هذه القصص من تصريف المُثُل ما لا يُحصى ٠

وأما الآية الثانية فقدم قوله: ﴿ لِلنَّاسِ ﴾؛ لأَنَّ ذِكْرَ النَّاسِ أَهَمُّ فِي هَذَا الْمَقَامِ لِأَجْلِ كَوْنِ الْكَلَامِ مَسُوقًا لِتَحَدِّيهِمْ وإقامةَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِم؛ لأنهم هم الذين زعموا أن في مقدورهم أن يأتوا بمثل القرآن فكان تقديمهم فيه شبه تعريض بهم [1]٠

(١) انظر: التحرير والتنوير: ١٥/ ٢٠٤، ٢٠٥ ؛ خصائص التعبير القرآني: ٢/ ١٨١، ١٨٢

المبحث الثاني

التقديم والتأخير لمراعاة حال المنوط بالحديث

إن القرآن الكريم يقدم بعض الكلمات، أو يؤخرها على حسب حال المتحدث عنهم، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها:

أولا: كل إنسان يقدم الأهم عنده:

وهذا يظهر واضحا في قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾[1]، وقوله: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ [2] .

قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ ﴾

فقد تكرر في الآية الأولى الضمير﴿ مِنۡهَا ﴾ مرتين وهما يعودان على النفس الأولى، التي تحاول تخليص غيرها، فهي تحاول أن تشفع أولا، لأن الأمر لا يهمها كثيرا، ثم تأتي مسألة الفداء ثانيا، فالمرحلة الثانية أغلى ثمنا من الأولى، ولهذا فهي تقدم الأرخص ثمنا.

أما الضمير في﴿ مِنۡهَا ﴾ وفي﴿ تَنفَعُهَا ﴾ في الآية الثانية فيعود على النفس الثانية التي ستذوق العذاب، والتي تحاول أن تفتدي نفسها بالأغلى عندها مقابل الخلاص مما هي فيه .

فكل نفس تقدم ما هو أهم عندها .

ويؤكد هذا المعنى أنه قال في الأولى: ﴿ وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ ﴾ وفي الثانية: ﴿ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ ﴾؛ لأن الشفاعة إنما تقبل من الشافع وإنما تنفع المشفوع له [3] .

---

(١) سورة: البقرة: ٤٨

(٢) سورة: البقرة: ١٢٣

(٣) انظر: الكشاف: ١/ ١٣٧؛ فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف): ٢/ ٤٧٧ ؛ كشف المعاني في المتشابه من المثاني:٩٤، ٩٥ ؛ الموسوعة القرآنية: ٢/ ٢٩ ؛ تفسير الشعراوي: ١/ ٣١٧ ـ ٣١٩ / ١/ ٥٦٨ /١٠/ ٥٩٩٠ .

ثانيا: تقديم الإبداء مع المؤمنين والإخفاء مع الكافرين والمنافقين

قال الله تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ (١)، وقال ـ ﷻ ـ: ﴿ قُل إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ (٢) .

بالتأمل في هاتين الآيتين يتبين أن الآية الأولى تتحدث عن المؤمنين / حيث لم يجر فيها ذكر النفاق ولا صفة أهله وإنما الخطاب فيها وفي آية الدين قبلها وفيما بعدها للمؤمنين فيما يخصهم من الأحكام فورد فيها قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ "" مقدما فيها بادي أعمالهم بناء على سلامة بواطنهم وتنزههم عن صفة المنافقين، وهكذا في جميع خطابات القرآن للمؤمنين، ومنه قوله تعالى: ﴿ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴾ (٣)، حيث إن الخطاب للمؤمنين .

وأما الآية الثانية فالخطاب فيها للمنافقين، حيث إنه تقدمها قوله تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ ﴾ (٤)، وقد كرر القرآن مرارا أن الذين يفعلون ذلك هم المنافقون، أو من تشبه بهم، وأوضح مثال على ذلك قوله تعالى في قصة حاطب بن أبي بلتعة ـ ﷺ ـ: ﴿ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾(٥)

وهكذا في الحديث عن الكفار، ومنه قوله تعالى: ﴿ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ (٦)، فقد

(١) سورة: البقرة: جزء من الآية ٢٨٤
(٢) سورة: آل عمران: ٢٩
(٣) سورة: النور: ٢٩
(٤) سورة: آل عمران: جزء من الآية ٢٨
(٥) سورة: الممتحنة: جزء من الآية ١
(٦) سورة: التغابن: ٤

جاءت هذه الآية بعد قوله ـ ﷻ ـ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ (١،٢) ٠

وعلى هذا فتقديم العلانية على السر في حق المؤمنين، وتقديم السر على العلانية في حق المنافقين والكافرين مطرد في القرآن الكريم ٠

ثالثا: تقديم الرحمة للمؤمنين ، وتقديم العذاب للمعاندين:

إذا تحدث القرآن الكريم عن المؤمنين قدم المغفرة، أو الرحمة لهم، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣) ٠

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ (٤) ٠

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (٥) ٠

بالتأمل في هذه الآيات ونظائرها يتبين: أن القرآن الكريم إذا ذَكَرَ الرحمَةَ وَالعَذَابَ أَن يَبدَأَ بذكر الرحمَة ويشهد لهذا ما صح عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: (إن الله لما قضى الخلق، كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي) (٦) ٠

بيد أن المتتبع لآيات القرآن ـ أيضا ـ يتبين له أن هذه الرحمة وإن كانت للخلق عامة، إلا أنها للمؤمنين خاصة، وأن الكافرين محرومون منها، ويشهد لهذا ما يلي:

---

(١) سورة: التغابن: ٢
(٢) انظر: ملاك التأويل: ١/ ٧٢ / ٧٣
(٣) سورة: آل عمران: ١٢٩
(٤) سورة: الإسراء: ٥٤
(٥) سورة: غافر: ٣
(٦) أخرجه: البخاري في صحيحه ـ كتاب: التوحيد ـ باب: (وكان عرشه على الماء) عن أبي هريرة: ٩/ ١٢٥/ رقم (٧٤٢٢) ٠

١ ـ قوله تعالى: ﴿ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١) .

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢) .

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٣) .

وبناء على هذا ؛ فإن الحديث إذا كان مع المؤمنين، أو عن من يرجى إيمانهم وذكرت الرحمة والعذاب بدئ بذكر الرحمة .

وقد يقول قائل إن قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (٤)

وارد في الحديث عن الكفار بدليل قوله تعالى قبلها: ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴾ (٥) .

والحق أن الأمر ليس كذلك ؛ لأن هذه الآية تذييل لِستِّ آيات قبلها من أول قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (٦) ؛ ففي مجموع هذه الآيات لف ونشر مرتب ؛ فالمغفرة نشر لأولها، والعذاب نشر لآخرها .

وإذا كان الحديث مع المعاندين والكافرين بدئ بذكر العذاب ؛ تَرهيبا وزَجرا، ومن ذلك ما يلي:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٧) .

(١) سورة: الأعراف: جزء من الآية ١٥٦
(٢) سورة: الأعراف: جزء من الآية ٥٦
(٣) سورة: العنكبوت: ٢٣
(٤) سورة: الفتح: ١٤
(٥) سورة: الفتح: ١٣
(٦) سورة: الفتح: (٨، ٩)
(٧) سورة: المائدة: ٤٠

فهذه الآية بدأت بالعذاب ؛ لأنها وَرَدَت في ذكر: قطاع الطريق، وَالمحَاربينَ، وَالسراق ؛ فَكَانَ المنَاسب تَقديمَ ذكر العَذَاب ؛ لهَذَا خَتَمَ آيَةَ السرقَة بـ﴿ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ وَخَتَمَهَا بالقدرَة ؛ مبَالَغَة في الترهيب ؛ لأَن مَن تَوَعدَه قَادر عَلَى إنفَاذ الوَعيد [١] .

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [٢] .

فقدم العقاب ـ هنا ـ لأن سورة الأنعام كلها مناظرة للكفار ووعيد لهم، وهذه الآيَةَ، وما قبلها، وما بعدها، تَهديد وَوَعيد وتَقريع للكفار وإبطال لعقائدهم ؛ فَكَانَ المنَاسب تَقديمَ ذكر العقَاب تَرهيبا للكفار وَزَجرا لَهم عَن الكفر وَالتفَرق وَزَجرا للخَلَائق عَن الجَور في الأَحكَام [٣] .

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [٤] .

فهذه الآية قدم فيها العقاب على المغفرة ؛ لأَنهَا في سيَاق ذكر مَعصيَة أَصحَاب السبت، وَتَعذيبه إياهم .

وجاءت هذه الآية مؤكدة باللام ؛ لأنها تفيد التوكيدَ ؛ فَأَفَادَت هنَا تَأكيدَ سرعَة العقَاب ؛ لأَن العقَابَ المَذكورَ فيها عقَاب عَاجل، وَهوَ عقَاب بَني إسرَائيلَ بالذل وَالنقمَة وَأَدَاء الجزيَة بَعدَ المَسخ ؛ لأَنه في سيَاق قَوله: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ ﴾،فتَأكيد السرعَة أَفَادَ بَيَانَ التعجيل وَهوَ مناسب بخلَاف العقَاب المَذكور في سورَة الأَنعَام فَإنه آجل بدَليل قَوله﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ ﴾ [٥،٦]

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن: ٤/ ٦٤ .
(٢) سورة: الأنعام: جزء من الآية ١٦٥
(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن: ٤/ ٦٥ .
(٤) سورة: الأعراف: ١٦٧
(٥) سورة: الأنعام: ١٦٤
(٦) انظر: البرهان في علوم القرآن: ٤/ ٦٥ .

٤ ـ قوله تعالى: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ﴾ (١)
فقدم العذاب ـ هنا ـ لأَن سيدنا إبرَاهيم ـ عليه السلام ـ خَاطب به نمروذ وَأَصحَابه، وقد وقع العَذَاب بهم في الدنيَا (٢)

رابعا: تقديم القسط في حق عوام المؤمنين وتأخيره في حق الولاة:

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾ (٣) .

وقال ـ عز وجل ـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ (٤) .

فقد قدمت الشهادة لله في الآية الأولى ؛ لأنها خطاب لعوام المؤمنين ؛ ذلك أن لفظ الجلالة (لله) متعلق بالشهادة، وهي المراد من الآية بدليل قوله: ﴿ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾، أي: اشهدوا لله لا للميل إلى الأقربين ؛ ؛ فهي توجب على من عنده شهادة أن يقوم بالحق فيها، ويشهد لله تعالى على كل من عنده حق لغيره يمنعه إياه حتى يصل إليه

وقدم القسط في الآية الثانية ؛ ؛ لأن لفظ الجلالة (لله) متعلق ب "قَوامينَ"، والخطاب للولاة بدليل قوله: ﴿ وَلَا يَجرِمَنكم شَنَآن قَوم ﴾ أي كونوا قوامين لله لا لنفع، فإنكم شهداء على الناس،

(١) سورة: العنكبوت: ٢١
(٢) انظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن: ١٩٨ .
(٣) سورة: النساء: ١٣٥
(٤) سورة: المائدة: ٨

وقوله ـ ﷻ ـ: ﴿ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا ﴾ أي: إن يكن من عليه الحق على أحد هذين الوصفين ؛ فانتهوا في أمره إلى أمر ما أمر الله تعالى به،، ولا يحملنكم الإشفاق من فقره على محاباته ولا يدعونكم غني الغني إلى مداراته، فإن الله تعالى أولى بالنظر لهما، ولجميع عباده منهم لأنفسهم ولغيرهم [١] .

خامسا: تقديم الآباء إذا كان الفقر واقعا وتقديم الأبناء إذا كان متوقعا

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ [٢]

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ [٣]

ففي الآية الأولى قدم ضمير الآباء لأن المخاطبين بها إنما كان فعلهم ذلك من

أجل الفقر الحاصل حال قتلهم فقيل من إملاق أي من أجل الإملاق الحاصل ثم قيل لهم "نحن نرزقكم وإياهم "فقدم رزقه تعالى لهم لحصول فقرهم في الحال ليكون أمنع لهم وكأن السياق يشعر بتشفيع الأولاد في رفع فقر الآباء القاتلين فكأنه قيل لهم: إنما ترزقون بهم فلا تقتلوهم، فتأكد تقديم ضمير الآباء وتأخير ضمير الأبناء ٠

وأما الآية الثانية ؛ فهي تخاطب كفار العرب وكان قتلهم لأولادهم خشية الفقر المتوقع والعجز عن مؤنتهم فيما يتوقعونه مستقبلا فقيل "خشية إملاق " فجعلت الخشية هي العلة في فعلهم، والمعلول الذى هو الإملاق لم يقع بعد

(١) انظر: درة التنزيل: ١/ ٤١٩ ـ ٤٢١ ؛ البرهان في توجيه متشابه القرآن: ٩٨ ؛ غرائب التفسير ١/ ٣٠٩ ٠

(٢) سورة: الأنعام: جزء من الآية ١٥١

(٣) سورة: الإسراء: ٣١

وضمن تعالى لهم رزقهم ورزق أولادهم ودفع ذلك المتوقع ليرفع ذلك خشيتهم، فلهذا قدم هنا ضمير الأولاد ثم عطف عليه ضمير الآباء [١] .

سادسا: تقديم العامل مع النفاق، وتقديم العمل مع الكفر:

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [٢]

وقال ـ ﷻ ـ: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴾ [٣] .

هاتان الآيتان تبينان أن كلا من المنافق والكافر لا ينتفعون بثواب أعمالهم في الآخرة .

بيد أن الآية الأولى تتحدث عن المنافقين الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ؛ فهم مظهرون للإيمان مبطنون للكفر .

والمنافق حين ينفق إنما يريد استثمار نفقته لتعود عليه بالنفع، ولما كان يتظاهر بإنفاقها بين الناس. موهما لهم أنه يبتغى بها وجه الله.، ويخفى قصده الحقيقي فإن: " شيء " وهو ما يرجو أن يحصل عليه من" ربح " هو كل أمله الذي يملأ نفسه فقدم من أجل ذلك وسلط عليه النفي ليكون أبلغ في قطع آماله. وعقم كسبه وأما الآية الثانية ؛ فهي تبين. أن الكافرين تتعلق آمالهم بكسبهم ظانين أنه مجد لهم.

---

(١) انظر: ملاك التأويل: ١/ ١٧٢، ١٧٣ .
(٢) سورة: البقرة: ٢٦٤
(٣) سورة: إبراهيم: ١٨

فكسبهم حينئذ ملء نفوسهم فعمد القرآن من أول الأمر إلى محط رجائهم ونفى قدرتهم عليه: (لا يقدرون مما كسبوا على شيء)، وفي ذلك إشارة إلى عجزهم الشامل ؛ فإذا كانوا عاجزين عن كسبهم. فإن عجزهم عما سواه ثابت متحقق [١] .

وعلى هذا .فآية البقرة المثل فيها للعامل، وهو المنافق، فكان تقديم نفي قدرته وصلتها أنسب، لأن (الجار والمجرور، متعلقان بـ﴿ يَقْدِرُون ﴾

وأما آية إبراهيم فالمثل " فيها للعمل، لقوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ ﴾ [٢] أي: مثل أعمال الذين كفروا، فكان تقديم (مما) تقديم نفي ما كسبوا أنسب لأنه صلة (شيء) وهو الكسب [٣] .

سابعا: تقديم العذاب في حق المنافقين وتقديم النهي عن الطاعة في حق الكافرين:

(أ) فقد قدم المنافقون في العذاب في آيات عديدة منها:

١- قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [٤] .

٢- قال ـ ﷻ .﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [٥] .

(١) انظر: خصائص التعبير القرآني: ٢/ ١٧٦، ١٧٧ .
(٢) سورة: إبراهيم: ١٨
(٣) انظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني: ١٢٠ .
(٤) سورة: النساء: جزء من الآية ١٤٠ .
(٥) سورة: الأحزاب: ٧٣

٣- قال الله تعالى: ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ (١)

فقد قدم المنافقون في هذه الآيات علي الكافرين والمشركين ؛ لأن الحديث عن العذاب الأخروي والمنافقون أشد عذابا من الكافرين والمشركين؛ لأنهم أشد ضررا على المؤمنين من الكفار المحاربين ؛ لأن المؤمن يتوقى الكافر المحارب ويخالط المنافق لظنه إيمانه، وربما يفشي إليه سره ؛ فكان شره أكثر من شر الكافر، فكان تقديم المنافق بالذكر أولى ولهذا قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ (٣،٢)

(ب) بينما قُدِم الكافرون علي المشركين عند الحديث عن النهي عن طاعتهم، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم في مواضع منها:

١- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (٤) .

٢- قوله - ﷻ - : ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (٥) .

ففي هاتين الآيتين قدم الكافرون لأنهم لا تجوز طاعتهم بحال من الأحوال لأنهم يتربصون بالمؤمنين الدوائر ولا يريدون لهم الخير، حيث قال تعالى: ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾ (٦) .

(١) سورة: الفتح: ٦ .
(٢) سورة: النساء: ١٤٥
(٣) انظر: إرشاد العقل السليم: ٨/ ١٠٥ ؛ حدائق الروح والريحان ٢٧/ ٢٣٦ .
(٤) سورة: الأحزاب: ١
(٥) سورة: الأحزاب: ٤٨
(٦) سورة: النساء: جزء من الآية ٨٩ .

وأما المنافقون فإنهم يخالطون المؤمنين ويحضرون معهم مجالس الشوري ؛ فربما يشيرون برأي يظنون أن فيه ضررا للمسلمين بينما يبدوا للنبي وأصحابه أن فيه خيرا فيتبعون ذلك الرأي ؛ فيكنون في الظاهر أطاعوا المنافقين، وفي الحقيقة هم لم يطيعوهم لأنهم يعلمون أنهم يكنون لهم الشر

ثامنا: تقديم الرجال تارة والنساء تارة أخرى:

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) .

وقال ـ ﷻ ـ: ﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

وقال ـ ﷻ ـ: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ (٣)

بالتأمل في هذه الآيات يتبين ما يلي:

١ ـ أن السارق قدم في الآية الأولى على السارقة ؛ لأن حرصه على السرقة أكثر، وقدرته عليها أتم، والعار والقبح في حقه أشد (٤) .

٢ ـ أن الزاني قدم على الزانية، لأن الحديث ـ هنا ـ في نكاح الزانيات، والأصل في النكاح الذكور، وهم المبتدئون بالخطبة، (٥) .

٣ ـ في الآية الثالثة قدمت الزانية لأنها الأصل في الفعل، والداعية فيها أوفر، ولولا تمكينها منه لم يقع (٦) .

والله أعلم

---

(١) سورة: المائدة: ٣٨
(٢) سورة: النور: ٣
(٣) سورة: النور: جزء من الآية ٢
(٤) انظر: رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز: ٢ / ٢٢٥ .
(٥) انظر: الكشاف: ٣/ ٢١٢ .
(٦) انظر: البحر المديد: ٤/ ٦ .

المبحث الثالث
التقديم والتأخير لقصد الترتيب

إن القرآن الكريم يقدم بعض الكلمات أو يؤخرها لمراعاة ترتيب معين: كالترتيب الرتبي، أو الترتيب الزمني، أو الترتيب العددي، أو غير ذلك، وبيان ذلك كما يلي:

أولا: مراعاة الترتيب الرتبي:

القرآن الكريم يرتب بعض الأمور التي يذكرها حسب رتبتها ومكانتها وشرفها، وقد وقع ذلك في القرآن الكريم في المواضع التالية

١ ـ تقديم النصارى على الصابئين ؛ حيث قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [١] .

فقد جاء الترتيب في هذه الآية ترتيبا رتبيا ؛ لأن المراد ب(**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ**): الذين آمنوا بكتب الله المتقدمة مثل صحف إبراهيم .

(**وَٱلَّذِينَ هَادُواْ**) هم الذين آمنوا بالتوراة [٢] .

(**وَٱلنَّصَٰرَىٰ**): الذين آمنوا بالإنجيل [٣] .

والصابئون فرقة من اليهود الذين بدلوا دين سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ ووضعوا هيكل إغريقي: فوق المذبح اليهودي بفناء المعبد؛ وبذلك أحلوا الوثنية محل اليهودية، وزعموا أنهم يريدون توحيد الديانة بالبلاد، وقد وافق كثير من اليهود على الدخول في تلك العقيدة الوثنية (٤)، ثم أطلق العرب على كل من بدل دينه صابئا [٥] .

---

(١) سورة البقرة: ٦٢

(٢) انظر: الملل والنحل ٢/ ١٥ .

(٣) انظر: الملل والنحل ٢/ ٢٥ .

(٤) انظر: الملل والنحل ١/ ١١ ؛ تاريخ الفكر الديني الجاهلي: ٢٧١ .

(٥) انظر: جمهرة اللغة: ٢/ ١٠٢٤ (صبأ)

وهذا يعني أن الصابئين كانوا قبل النصارى، بيد أن القرآن قدم النصارى عليهم ؛ لأنهم أهل كتاب، والصابئون) في اللسان العربي والعبري تعطي معنى كلمة (زنديق) فهي لا تنبئ من قريب، أو من بعيد عن معنى مقدس [١] .

ثم يعيد القرآن الكريم هذا الخبر بأسلوب آخر ؛ فيرتب أصحاب هذه الديانات والمذاهب ترتيبا زمنيا، حيث قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ [٢] .

فالترتيب في هذه الآية ترتيب زماني ؛ لأنه قدم فيها الصابئون على النصارى، وهذا هو ترتيبهم حسب زمانهم

(وَٱلۡمَجُوسَ) قوم كَانوا يعبدونَ الشمس وَالقَمَر وَالنار ، وهي نحلة لها جذور قديمة، بيد أنه لم يطلق عَلَيهم هَذَا اللقب إلا منذ القرن الثالث للميلاد[٣]

(وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ) عبدة الأوثان، وقد تقدمت لهم أزمنة وكانوا في عهد أكثر الأنبياء الذين تقدمت بعثتهم صلوات الله عليهم، إلا أنهم كانوا أكثر ممن مني رسول الله بهم، وصلي بجهادهم، وكأنهم لما كانوا موجودين في عصر النبي ـ ﷺ ـ كانوا أهل زمانه، وهذا الزمان متأخر عن أزمنة الفرق الذين تقدم ذكرهم .

وأوثر الترتيب الزمني هنا ؛ لأنه ذكر في الآية ثلاث طوائف ممن لا كتاب لهم وهم: الصابئون والمجوس والذين أشركوا [٤] .

وأما قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [٥] .

---

(١) انظر: تاريخ الفكر الديني الجاهلي: ٢٧٢ .

(٢) سورة الحج: ١٧

(٣) انظر: المعجم الوسيط: ٢/ ٨٥٥ (مجس) ؛ معجم اللغة العربية المعاصرة: ٣/ ٢٠٧٠ (مجس) .

(٤) انظر: درة التنزيل وغرة التأويل: ١/ ٢٥٨ .

(٥) سورة المائدة: ٦٩

فقد روعي فيها المعنيان فقدموا في اللفظ وأخروا في المعنى إذ التقدير: والصابئون كذلك، كما في قول الشاعر:

فمن يك أمس في المدينة رحله ... فإني وقيار بها لغريب [٢،١] .

إذ التقدير: فإني لغريب بها وقيار كذلك. اه. «

حيث جاءت كلمة (ٱلصَّٰبِـُٔونَ) بالرفع متوسطة بين اسم (إن) وخبرها، وهي لا تكون كذلك إلا إذا نوي بها التأخير بعد الخبر [٣] .

٢ ـ تقديم المؤمنين

قدم الله تعالى المؤمنين على الكافرين في أكثر المواضع في القرآن الكريم، وذلك لشرفهم ومكانتهم، وعلو منزلتهم عنده تعالى مصداقا لقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [٤].

بيد أنه قُدِّم الكافرون في مواضع قليلة منها: قوله تعالى:) يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ﴾ [٥]، وقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞ ﴾ [٦] .

والسر في ذلك: التنبيه إلى أن الكافرين أكثر عددا حتى لكأنهم يشبهون الجسد الإنساني، على حين يمثل المؤمنون الرأس في هذا الجسد، وذلك مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ [٧]، وحين ذكر المؤمنين قال::) وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [٨،٩] .

---

(١) هذا البيت من بحر الطويل وهو لضابئ بن الحَارث البرجمي من قصيدة قَالَهَا وَهوَ مَحبوس في السجن في المَدينَة المنورة في زمن عثمَان بن عَفان ـ ﷺ ـ و(قيار) اسم فرسه، أو جمله انظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي: ٩/ ٣٢٦ .

(٢) انظر: حدائق الروح والريحان: ١/ ٤٦٠ .

(٣) انظر: أسرار العربية: ١٢٥ .

(٤) سورة: البقرة: ٢٥٧

(٥) سورة: هود:١٠٥

(٦) سورة: التغابن: ٢

(٧) سورة: يوسف: ١٠٣

(٨) سورة: سبأ: ١٣

(٩) انظر: تفسير: البحر المحيط: ١٠/ ١٨٨ ؛ التفسير القرآني للقرآن: ١٤/ ٩٧٣

٣ ـ تقديم الذكور على الإناث:

قدم القرآن الكريم الذكور على الإناث في آيات كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾ (١) ؛ وقوله ـ ﷻ ـ: ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾ (٢) .

فقدم القرآن الذكور في هاتين الآيتين ونظائرهما؛ لعدة أمور، من أهمها:

١ ـ أن الرجال أصل والنساء فرع لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ (٣) .

٢ أن الرجل أفضل من المرأة لقوله تعالى: ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾(٤) وقوله ـ ﷻ ـ: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ (٥) .

ورغم ذلك فقد قدم القرآن الكريم الإناث على الذكور في آية واحدة هي قوله تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾ (٦) .

والسر في ذلك: التنبيه على أن الله ـ ﷻ ـ فعال لما يريد

حيث ذكر تعالى البلاء في سياق هذه الآية وكفران الانسان بنسيانه للرحمة السابقة عنده ثم عقب ذلك بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة الأولاد فقدم الإناث لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاء لا ما يشاؤه الانسان فكان ذكر الإناث اللاتي هن من جملة ما لا يشاؤه الانسان ولا يختاره أهم والأهم واجب التقديم، وخاصة أن هبة البنات كانت العرب تعده بلاءً ؛ فكان تَقديم الإنَاث عَلَى

(١) سورة: الأحزاب: ٣٥
(٢) سورة: النجم: (٤٥، ٤٦)
(٣) سورة: النساء: جزء من الآية ١
(٤) سورة: البقرة: ٢٢٨
(٥) سورة: النساء: ٣٤
(٦) سورة: الشورى: ٤٩

الذكور تعريضا بالمشركين الذين يعتقدون بَعض النعمَة سَيئَة ؛ حيث يتطيرون بولَادَة البَنَات لَهم فقدم ذكرهن تنبيها على أنه قادر وفعال لما يريد [١]

٤ ـ تقديم السماء على الأرض:

ذهب جمهور العلماء إلى أن الله خلق الأرض قبل السماء لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ [٢] ؛ ولما أخرجه البخاري عن سعيد بن جبير أن ابن عباس ـ ﷺ ـ قال: (إن الله ـ ﷻ ـ خلق الأرض في يومين ثم خلق السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين، ثم دحا الأرض، ودحوها: أن أخرج منها الماء والمرعى) [٣] .

ومع ذلك قدمت السماء على الأرض في أكثر من مائتي موضع في القرآن الكريم، منها:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [٤] .

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [٥] .

٣ ـ قوله ﷻ: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ [٦]

وقدمت السماء على الأرض في هذه المواضع كلها لعظم منزلتها وشرفها ؛ لأنه غالبا تذكر السموات والأرض في سياق آيات الرب الدالة على وحدانيته وربوبيته، ومعلوم أن الآيات في السموات أعظم منها في الأرض لسعتها وعظمها وما فيها من كواكبها وشمسها وقمرها وبروجها وعلوها واستغنائها عن عمد ترفعها، إلى غير ذلك من عجائبها التي تعتبر الأرض وما فيها كقطرة في

(١) انظر: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: ١٧٩ .

(٢) سورة: فصلت: ١١

(٣) هذا جزء من حديث طويل أخرجه البخاري في صحيحه ـ التفسير ـ سورة: حم السجده: ٦/ ١٢٨ .

(٤) سورة: آل عمران: ١٩٠

(٥) سورة: الأعراف: جزء من آية ٩٦

(٦) سورة: الروم: ٢٦

سعتها، ولهذا أمر سبحانه بأن يرجع الناظر البصر فيها كرة بعد كرة، ويتأمل استواءها واتساقها وبراءتها من الخلل والفطور، فالآيات فيها أعظم من الأرض[١]

ورغم ذلك قدمت الأرض على السماء في سبعة عشر موضعا من الذكر الحكيم، منها:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [٢] .

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [٣] .

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [٤] .

وبالنظر في هذه الآيات وغيرها يتبين أن الأرض قدمت على السماء ؛ لأن السياق سياق تحذير وتهديد للبشر وإعلامهم أنه سبحانه عالم بأعمالهم دقيقها وجليلها وأنه لا يغيب عنه منها شيء فاقتضى ذلك ذكر محلهم وهو الأرض قبل ذكر السماء ؛ فتقديم الأرض في هذه المواضع بالرتبة أيضا لأنها منتظمة بذكر ما هي أقرب إليه، وهم المخاطبون بالسياق، فاقتضى حسن النظم تقديمها مرتبة في الذكر مع المخاطبين الذين هم أهلها [٥].

٥ ـ تقديم السمع على البصر:

قدم القرآن الكريم السمع على البصر في مواضع عديدة منها:

(أ) قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [٦] .

---

(١) انظر: بدائع الفوائد: ١ / ٧٤) .

(٢) سورة: آل عمران:٥

(٣) سورة: يونس: جزء من الآية ٦١

(٤) سورة: الزمر: ٦٧

(٥) انظر: الخلاصة الجامعة لقواعد التفسير النافعة (: ص: ٢٥

(٦) سورة: البقرة: جزء من الآية ٢٠

(ب) قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾ (١) .

(ج) قوله تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ (٢) .

وهذا التقديم له سببان رئيسان:

أولهما: أن السمع أشرف من البصر وذلك لما يلي:

١ـ أن فوائده كثيرة ؛ فإن أكثر أمور الدين لا تعلم إلا من جهته (٣) .

٢ـ أَن السمعَ آلَة لتَلَقي المَعَارف التي بهَا كَمَال العَقل .

٣ـ أَن السمعَ تَرد إلَيه الأَصوَات المَسموعَة منَ الجهَات الست بدون توَجه، بخلَاف البَصَر فَإنه يَحتَاج إلَى التوَجه بالالتفَات إلَى الجهَات غَير المقَابلَة (٤)

٤ـ أن السمع لا يغيب عن الإنسان حتى ولو كان نائما؛ لأن بالسمع يتم الاستدعاء من النوم ؛ ولهذا قال الله تعالى في قصة أهل الكهف: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ (٥) ؛ فما كان لهم أن يناموا في سبات عميق ثلاثمائة وتسع سنين إلا إذا حجب الله عنهم السمع (٦) .ـ

٥ـ ـ أن البصر يتوقف في تحصيله للعلم على وسائط لا يتوقف عليها السمع.؛ فكم من أناس فقدوا نعمة الإبصار فلم يقعدوا عن طلب العلم بل كانوا من المبرزين فيه (٧) .

٦ـ أن السمع لا تقف دونه حواجز، بينما يتعرض البصر لموانع تحجز عنه الرؤية (٨) .

---

(١) سورة: مريم: ٤٢

(٢) سورة: الإنسان: ٢

(٣) انظر: روح المعاني: ١١/ ١٢٢ .

(٤) انظر: التحرير والتنوير: ١/ ٢٥٨ .

(٥) سورة: الكهف: ١١

(٦) انظر: تفسير الشعراوي: ١٣ /٨١١٥، ٨١١٦ .

(٧) انظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: ٢/ ١٠٨ .

(٨) انظر: التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية: ٧٢ .

٧- أن السمع يدرك ما غاب وحضر، والبصر إنما يتعلق بالحاضر فكان إدراك السمع أعم، والأعم قبل الأخص بالرتبة [١] .

ثانيهما: أن السمع يكتمل خلقه في الجنين قبل البصر ؛ فقد قرر العلم أن حاسة السمع تبدأ مبكرة في أداء عملها في الأسابيع القليلة الأولى بعد ولادة الطفل، أما البصر فيبدأ عمله في الشهر الثالث ولا يتم تركيز الإبصار إلا بعد الشهر السادس، ودليل ذلك أن أذن الطفل تؤدي وظيفتها عقب

ولادته لأنه إذا سمع صوتا شعر به وأحسه فورا وصدر عنه ما يدل على التأثر به، أما عين الطفل فإنها لا تؤدي وظيفتها إلا بعد فترة من ولادته، ودليل ذلك أنك إذا مددت يدك قريبا منها لا ترمش ولا تتحرك [٢] .

وجاءت السنة النبوية ـ أيضا ـ تؤكد ذلك فعن أَبي رَافع ـ ﷺ ـ أَن النبي ـ ﷺ ـ (أَذنَ في أذن الحَسَن وَالحسَين حينَ ولدَا، وَأَمَرَ به) [٣] .

ورغم ذلك فقد جاءت بعض الآيات الكريمة ظاهرها يخالف هذا الأصل ؛ فتقدم البصر على السمع، بيد أن الحق أنها لا تدل على تقدم البصر على السمع في الرتبة، وبيان ذلك كما يلي:

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ﴾ [٤] .

و قوله تعالى: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ [٥] .

فليس في هاتين الآيتين مخَالَفَة لمَا جَرَى عَلَيه اصطلَاح القرآن من تَقديم السمع عَلَى البَصَر لتشريف السمع لأَن الترتيبَ في هَذه الآية سَلَكَ طَريقَ الترَقي

(١) انظر: بدائع الفوائد: ٣/ ١٦٥ .
(٢) انظر: القرآن وإعجازه العلمي: ١١٠ .
(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ٣/ ٣١ ٢٥٧٩) ؛ وحسنه الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: ٤/ ٤٠٠(١١٧٣) .
(٤) سورة: الأعراف: ١٧٩
(٥) سورة: الأعراف: ١٩٥

منَ القلوب التي هيَ مَقَر المدرَكَات إلَى آلَات الإدرَاك الأَعين ثم الآذَان فَللآذَان المَرتَبَة الأولَى في الارتقَاء [١] .

جاء في هذه الآية البَدء بالأَدنَى لغرض الترقي، إذ اليَد أشرف من الرجل، والعَين أشرف من اليَد، والسمع أشرف من البَصَر [٢] .

(أ) قوله تعالى: ﴿ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡ ﴾ [٣] .

فقد تقدم على هذه الآية قوله تعالى:

﴿ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [٤]، والغيب شامل للمبصرات والمرئيات والمسموعات وغيرهما، لكن ما غاب عن المخاطبين من مبصرات السموات

والأرض – إذ هو الكون كله وما وقع عليه بصر المخاطبين من حيز ضيق محدود – أكثر بهذا الاعتبار مما غاب عنه من مسموعات. .

لذلك اقتضى المقام الإتيان بالبصر مقدما على السمع [٥] .

وثمت نكتة أخرى وهي: أن الكلام هنا عن أصحاب الكهف الذين فروا من قومهم لئلا يراهم أحد ولجأوا إلى ظلمة الكهف لكيلا يراهم أحد لكن الله تعالى يراهم في تقلبهم في ظلمة الكهف ولذلك طلبوا من صاحبهم أن يتلطف حتى لا يراه القوم إذن مسألة البصر هنا أهم من السمع فاقتضى تقديم البصر على السمع في الآية.

(ب) قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ﴾ [٦] .

فقد قدم في هذه الآية العمى الذي هو ضد الإبصار، وأخر الصمم الذي هو ضد السمع.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير: ٩/ ١٨٤ .

(٢) انظر: البلاغة العربية: ٢/ ٤٦١ .

(٣) سورة: الكهف: ٢٦

(٤) سورة: الكهف:٢٦

(٥) انظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: ٢/ ١١١٠

(٦) سورة: الكهف: ١٠١

فذلك لمناسبة الحشر على الوجوه لأن من ألقى على وجهه ثم سحب عليه لم يبصر شيئا ولم يستطع أن يتكلم بكلام مسموع فتأخذه دهشة الهول فلا يكاد يسمع مما حوله شيئا.

وعلى هذا النسق العجيب جاءت الآية الحكيمة [١] .

٦ ـ تقديم القلوب وتأخيرها

بالتأمل في آيات القرآن الكريم التي ورد فيها ذكر القلب والفؤاد مفردين ومجموعين يتبين أن القرآن قدمه في بعض المواضع وأخره في بعضها ؛ فمن المواضع التي قدم فيها:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [٢] .

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[٣]

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [٤] .

وتقديم القلب في هذه المواضع ونحوها إنما هو من باب التشريف ؛ لأن القلب أشرف الأعضاء، وذلك لما يلي:

(أ) أن القلبَ رئيس الأعضاء؛ لقوله ـ ﷺ ـ: (ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب) [٥] .

(ب) أن القلب محل تحمل الشهادة والعقائد والنيات [٦] .

---

(١) انظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: ٢/ ١١٢

(٢) سورة: البقرة: ٧

(٣) سورة: النور: جزء من الآية ٣٧

(٤) سورة: الأنعام: جزء من الآية ١١٠

(٥) أخرجه: البخاري في صحيحه ـ كتاب: الإيمان ـ باب: فضل من استبرأ لدينه ـ عن النعمان بن بشير / ١ / ٢٠ / (٥٢ ٠)

(٦) انظر: فتح الرحمن في تفسير القرآن: ١/ ٤٠٧ ٠

(ج) أن أفعال القلوب أعظم من سائر أفعال الجوارح وهي لها كالأصول التي تتشعب منها، لأن أصل الحسنات والسيئات الإيمان والكفر وهما من أفعال القلوب [١] .

وإذا تأخر كان ذلك لأسرار أخرى من أهمها:

١ ـ الترتيب الزمني لاكتساب العلم:

فقد جاءت في القرآن عدة آيات تبين أن الله ـ ﷻ ـ خلق السمع والبصر والأفئدة للإنسان حتى يكون من الشاكرين، من هذه الآيات: قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [٢]، وقوله ـ ﷻ ـ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴾ [٣] .

فقد بينت هاتين الآيتين الكريمتين ونظائرهما أن اكتساب العلم يحصل بعد الانتقال من مرحلة الإدراك الحسي بالسمع والبصر إلى مرحلة الإدراك العقلي، وهذه هي طريقة تعلم المعارف والخبرات وكلها تجيء بحسب الترتيب الذي ذكره القرآن وهو الإدراك الحسي أولا ثم الإدراك العقلي، ودليل ذلك وأضح في أن الطفل يولد لا يعلم شيئا ثم تتوالى عليه المدركات الحسية وتتكاثر عن طريق السمع ثم البصر فإذا ما صارت مجموعة المدركات الحسية كافية يأتي دور الفؤاد ليعقل ويعي ما أدركه الطفل منها بحواسه [٤] .

٢ ـ التنبيه إلى أول طرق الإعراض عن الإيمان:

وعلى ذلك يحمل قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ ﴾ [٥] .

فقد ذكر تعالى في هذه الآية الختم معطوفا على قوله «اتخذ إلهه هواه، ومن اتخذ إلهه هواه يكون أول ما يبدو منه للناس ويعرف هو إعراضه عن

(١) انظر: السراج المنير: ٤/ ٢٦٥)
(٢) سورة: النحل: ٧٨
(٣) سورة: المؤمنون: ٧٨
(٤) انظر: القرآن وإعجازه العلمي: ١١٠ ؛ التحرير والتنوير: ٢١/ ٢١٨ .
(٥) سورة: الجاسية: ٢٣

النصح، فيولي رأسه عن استماع الحجة، فكان مظهر عدم السماع منه أول ما يبدو للناظرين، فلذلك قدم السمع على القلب [١] .

ويمكن أن يقال في سر تقديم السمع على القلب هنا: أَن الإنسَانَ قَد يَسمَع كَلَاما فَيَقَع في قَلبه منه أَثَر، مثلَ أَن جَمَاعَة منَ الكفار كَانوا يلقونَ إِلَى الناس أَن النبي - ﷺ - شَاعر وَكَاهن وَأَنه يَطلب الملكَ وَالرِيَاسَةَ، فَالسامعونَ إِذَا سَمعوا ذَلكَ أَبغَضوه وَنَفَرَت قلوبهم عَنه، وبذلك يَصعَد الأَثَر منَ السمع إِلَى القلب [٢]

٣ - أن يكون التعقل مرتبا على السمع والبصر باعتبارهما آلات الإدراك:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً ﴾ [٣] .

فقد جاءت هذه الآية لتحذر من اختلاق الأكاذيب، واختلاق الأكاذيب ينشأ أولا في الفؤاد، ولكن أحدا لن يصدقه إلا إذا قال: سمعت ورأيت ؛ فالقلب متقدم بالنسبة للمفتري، والسمع والبصر متقدمان بالنسبة للمخاطب، ولولاهما ما صدق أحد .

٧ - تقديم موسى على هارون:

تقدم ذكر موسى على هارون في القرآن الكريم ست عشرة مرة، منها:

١ - قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [٤] .

٢ - قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [٥] .

٣ - قوله تعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ [٦] .

---

(١) انظر: التفسير الوسيط لطنطاوي: ١/ ٥٢ .
(٢) انظر: مفاتيح الغيب: ٢٧/ ٦٧٨ .
(٣) سورة: الإسراء: ٣٦
(٤) سورة: يونس ٧٥
(٥) سورة: الأنبياء: ٤٨
(٦) سورة: الصافات: (١١٩، ١٢٠)

وتقديم موسى على هارون في هذه المواضع كلها إنما هو لعلو منزلته ؛ لأنه الأصل وهارون مع كونه رسولا إلا أنه وزير وتابع له ٠

ورغم ذلك إلا أن هارون تقدم على موسى ـ عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ (١) ٠

وبالتأمل في هذه الآية يتبين أنها من كلام السحرة بعد إيمانهم وهم لا يعرفون فرقا بين موسى وهارون ؛ لأنهم شاهدوهم من أول يوم يدا واحدة ؛ فلم يفرقوا بين أمير ووزير ؛ ولذلك قدموا موسى ـ عليه السلام ـ في آية أخرى هي قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ (٢) ٠

قال الإمام ابن عاشور: " وَيَجوز أَن يَكونَ تَقديم هَارونَ في هَذه الآيَة من حكَايَة قَول السحَرَة، فَيَكون صَدَرَ منهم قَولَان، قَدموا في أَحَدهمَا اسمَ هَارونَ اعتبَارا بكبَر سنه، وَقَدموا اسمَ موسَى في القَول الآخَر اعتبَارا بفَضله عَلَى هَارونَ بالرسَالَة وَكَلَام الله تَعَالَى، فَاختلَاف العبَارَتَين باختلَاف الاعتبَارَين" (٣) ٠

ومن هذا يتبين ضعف قول من قال: إن تقديم هارون هنا لرعاية الفاصلة(٤)؛ لأنه لا يقال برعاية الفاصلة إلا عند الضرورة، بل أنكر العلامة البقاعي القول برعاية الفاصلة مطلقا، حيث قال:

وليس التقديم لأجل الفاصلة، فقد ثبت بطلان هذا وأنه لا يحل اعتقاده .. وأنه لا فرق بين أن يعتقد أن فيه شيئا موزونا بقصد الوزن فقط ليكون شعرا، وأن يعتقد أن فيه شيئا قدم أو أخر لأجل الفاصلة فقط ليكون سجعا" (٥) ٠

---

(١) سورة: طه: ٧٠
(٢) سورة: الأعراف: (١٢١، ١٢٢)
(٣) لتحرير والتنوير: ١٦/ ٢٦٣ ٠
(٤) انظر: البرهان في علوم القرآن: ٣/ ٢٣٤، ٢٣٥ ؛ التفسير الوسيط للزحيلي: ٢/ ١٥٣٥ ؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٤/ ٦٣ ٠
(٥) نظم الدرر: ٨/ ٤٤٩ ٠

٨- تقديم الأموال على الأنفس:

ورد في القرآن الكريم الجهاد بالأموال والأنفس في تسعة مواضع من الذكر الحكيم، بيد أنه قدم فيها الجهاد بالأموال على الأنفس في ثمانية مواضع، منها:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ﴾ (١) .

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ (٢)

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ (٣)

وأما الآية التي قدمت فيها الأنفس على الأموال؛ فهي: قوله تعالى:) إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ (٤) .

والسر في ذلك أن الترتيب في هذه الآيات ترتيب رتبي، ولكن النظم اختلف لاختلاف المقام ؛ لأن المواضع الثمانية التي قدمت فيها الأموال على الأنفس كانت مبذولة من المسلمين، أو مطلوبا منهم بذلها، والإنسان يحب المال حبا جما، كما قال ـ ﷻ ـ: ﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ (٥)، بيد أن حبه لنفسه أشد، ويشهد لهذا: ما أخرجه البخاري في صحيحه أن النبي ـ ﷺ ـ أخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول

(١) سورة: النساء: جزء من الآية ٩٥
(٢) سورة: الأنفال: جزء من الآية ٧٢
(٣) سورة: الحجرات: ١٥
(٤) سورة: التوبة: جزء من الآية ١١١
(٥) سورة: الفجر: (١٩، ٢٠)

الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ـ ﷺ ـ لا، والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك» فقال له عمر: فإنه الآن، والله، لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي ـ ﷺ ـ: «الآن يا عمر [١] ٠

ويؤكد ذلك قول مسلم بن الوليد:

يجود بالنفس إن ضن الجبان بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود [٢]

وقال محمود سامي البارودي

وجد بما ملكت كفاك من نشب ..فالجود كالبأس يحمي العرض والنسبا

ولا يقعد البطل الصنديد عن كرم ..من جاد بالنفس لم يبخل بما كسبا [٣]

والمجَاهدَ بَائع، فَأَخرَ النفس عن المال ؛ تَنبيها عَلَى أَن المضَايَقَةَ فيهَا أَشَد، فَلَا يَرضَى ببَذلهَا إلا في آخر المَرَاتب ٠

وأما في آية براءة ؛ ؛ فالله ـ ﷻ ـ مشتر فقدمَت النفس تَنبيها عَلَى أَن الرغبَةَ فيهَا أَشَد، لأنَ المشتَري يرغب أَولا في الأَنفَس الغَالي، والأنفس عند الله أكرم وأعز من المال [٤] ٠

ثانيا الترتيب الزمني:

١ ـ تقديم المال على البنين:

تقدم ذكر المال على البنين في القرآن الكريم في عشرين موضعا، منها قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ [٥]؛ وقوله ـ ﷻ ـ: ﴿ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴾[٦] ٠

---

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه ـ كتاب: الأيمان والنذور ـ باب: كيف كانت يمين النبي ـ ﷺ ـ عن عبد الله بن هشام: ٨/ ١٢٩ / رقم (٦٦٣٢)

(٢) هذا البيت من بحر البسيط وهو لمسلم بن الوليد ٠ انظر: ديوان المعاني: ١/ ١٠٤ ٠

(٣) انظر: ديوان محمود سامي البارودي: ٧٦ ٠

(٤) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٤/ ٣٦، ٣٧ ؛ التفسير القرآني للقرآن: ٦/ ٨٩٩ ٠

(٥) سورة: الأنفال: ٢٨

(٦) سورة: الكهف: ٤٦

والسر في ذلك: أن محبة المال أسبق وأعرق في قلب الإنسان من البنين ؛ لأنه أقدم منهم في الوجود، ثم إنه عام بالنسبة للأفراد والأوقات فإنه زينة ومُمِدٌ لكل أحد من الآباء والبنين في كل وقت وحين ٠

وأما البنون فزينتهم وإمدادهم إنما يكون بالنسبة إلى مَن بلغ مبلغَ الأبوة ولأن المالَ مناط لبقاء النفس والبنين لبقاء النوع ؛ فالحاجةَ إليه أمس من الحاجة إليهم ؛ ولأنه زينة بدونهم من غير عكس فإن من له بنونَ بلا مال فهو في ضيق حال ونكال [١] ٠

ومعلوم أن اشتغال الناس بأموالهم والتلاهي بها أعظم من اشتغالهم بأولادهم وهذا هو الواقع حتى إن الرجل ليستغرقه اشتغاله بماله عن مصلحة ولده[٢]

ورغم ذلك فقد تقدم البنون على الأموال في موضعين من الذكر الحكيم هما:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾ [٣] ٠

فتقديم البنين على المال في هذه الآية لا يتعارض مع ما سبق من أهمية المال في حياة الإنسان ؛ لأن هذه الآية ذكرت في معرض الشهوة، وصدرت بذكر الحب، وكان المحبوب، مختلف المراتب متفاوت الدرج، اقتضت الحكمة الإلهية تقديم الأهم فالأهم من المحبوبات، فقدم النساء على البنين لما يظهر فيهن من قوة الشهوة ونزوع الطبع وإيثارهن على كل محبوب وقدم البنين على الأموال لتمكنهم في النفوس واختلاط محبتهم بالأفئدة ؛ فالنساء أقعد في البيوت، والبنون أقعد في المحبة من الأموال، والذهب أكثر تمكنا من الفضة، والخيل أدخل في المحبة من الأنعام، والمواشي أدخل من الحرث [٤] ٠

(١) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٥/ ٢٢٥ ٠
(٢) انظر: بدائع الفوائد ط الفوائد: ١/ ١٣٢ ٠
(٣) سورة: آل عمران: ١٤
(٤) انظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ٢/ ٣٦ ٠

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا ﴾ (١) .

فقد ذكرت هذه الآية ـ أيضا ـ في معرض الوعيد على محبة بعض متاع الدنيا، وإيثاره على الجهاد في سبيل الله ومعلوم أن تصور المجاهد فراق أهله وأولاده وآبائه وإخوانه وعشيرته تمنعه من الخروج عنهم أكثر مما يمنعه مفارقته ماله فإن تصور مع هذا أن يقتل فيفارقهم فراق الدهر نفرت نفسه عن هذه أكثر وأكثر ولا يكاد عند هذا التصور يخطر له مفارقة ماله بل يغيب بمفارقة الأحباب عن مفارقة المال فكان تقديم هذا الجنس أولى من تقديم المال

فإذا ما تأملنا هذا الترتيب العجيب الوارد في هذه الآية وجدنا فيه العجب العجاب، حيث بدأ أولا بذكر أصول العبد وهم آباؤه المتقدمون طبعا وشرفا ورتبة وكان فخر القوم بآبائهم ومحاماتهم عنهم أكثر من محاماتهم عن أنفسهم وأموالهم وحتى عن أبنائهم، ثم ذكر الفروع وهم الأبناء لأنهم يتلونهم في الرتبة وهم أقرب أقاربهم إليهم وأعلق بقلوبهم وألصق بأكبادهم من الإخوان والعشيرة ثم ذكر الإخوان وهذا ترتيب بديع، حيث ذكر الأصول أولا ثم الفروع ثانيا ثم النظراء ثالثا ثم الأزواج رابعا لأن الزوجة أجنبية عنده ويمكن أن

يتعوض عنها بغيرها وهي إنما تراد للشهوة وأما الأقارب من الآباء والأبناء والإخوان فلا عوض عنهم ويرادون للنصرة والدفاع وذلك مقدم على مجرد الشهوة ثم ذكر القرابة البعيدة خامسا وهي العشيرة وبنو العم فإن عشائرهم كانوا بني عمتهم غالبا وإن كانوا أجانب فأولى بالتأخير ثم انتقل إلى ذكر الأموال بعد الأقارب سادسا ووصفها بكونها مقترفة أي مكتسبة لأن القلوب إلى ما اكتسبته من المال أميل وله أحب وبقدره أعرف لما حصل له فيه من التعب والمشقة بخلاف مال جاء عفوا بلا كسب من ميراث أو هبة أو وصية ؛ فإن حفظه للأول ومراعاته له وحرصه على بقائه أعظم من الثاني والحس شاهد بهذا وحسبك به ثم ذكر التجارة سابعا لأن محبة العبد للمال أعظم من محبته للتجارة التي

(١) سورة: التوبة: ٢٤

يحصله بها فالتجارة عنده وسيلة إلى المال المقترف فقدم المال على التجارة تقديم الغايات على وسائلها [١] .

وبذلك يمكن أن نحرر موطن الاختلاف، وذلك بأن يقال: إن محبة المال إذا قورنت بمحبة البنين رجحت كفة البنين، وإذا قورنت محبة المال بشئون الدنيا العامة رجحت كفة المال .

والسر في ذلك: أن محبة المال موزعة على أمور دنيوية وأخروية كثيرة ؛ فجزء منه للزينة، وجزء لبقاء النفس وجزء لإطعام الأولاد، وجزء للادخار، وجزء للإنفاق في سبيل الله، وأما محبة الأبناء ؛ فشيء واحد لا يتجزء .

وأوضح دليل على ذلك: أن الإنسان يبذل ماله من أجل أولاده، ولا يبيع أولاده من أجل الاستكثار من المال .

والله أعلم

٢ ـ تقديم الجن على الإنس:

قدم الجن على الإنس في عشرة مواضع من القرآن الكريم، منها:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ ﴾ [٢] .

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴾ [٣] .

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [٤] .

وتقديم الجن في هذه المواضع ونظائرها تقديم بالزمان ؛ لأن الجن خلقوا قبل الإنس، بدليل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ۝٢٦ وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ [٥] .

---

(١) انظر: بدائع الفوائد: ١/ ١٣٢ ـ ١٣٤ .
(٢) سورة: الأنعام: ١٣٠
(٣) سورة: النمل: ١٧
(٤) سورة: الذاريات: ٥٦
(٥) سورة: الحجر: (٢٦، ٢٧)

وقدم الإنس على الجن في ستة مواضع،، بيد أنه كان لهذا التقديم علة تخص كل موضع من هذه المواضع، ومن ذلك ما يلي:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ (١) .

قدم الإنس على الجن هنا لأَن خبَثَاءَ الناس أَشَد مخَالَطَة للأَنبيَاء منَ الشيَاطين، لأَن اللهَ عَصمَ أَنبيَاءَه من تَسَلط الشيَاطين عَلَيهم قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِن عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ (٢)، وَلَم يَعصمهم من لحَاق ضر الناس بهم وَالكَيد لَهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾(٣) وَلَكنه ضَمنَ لرسله النجَاةَ من كل مَا يَقطَع إبلَاغَ الرسَالَة إلَى أَن يَتم مرَاد الله (٤) .

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (٥) .

قدم الإنس هنا، لأن الإتيَان بمثل القرآن بالإنس أَليَق إن أَمكَنَ (٦) ؛ لأنهم أهل الفصاحة والبيان، وهم الذين تحدوا بالقرآن أولا .

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾ (٧) .

---

(١) سورة: الأنعام ١١٢
(٢) سورة: الحجر ٤٢
(٣) سورة: الأنفال ٣٠
(٤) انظر: التحرير والتنوير: ٣٠/ ٦٣٥ .
(٥) سورة: الإسراء: ٨٨
(٦) انظر: مفاتيح الغيب: ٢٩/ ٣٦٢ .
(٧) سورة: الرحمن: ٧٤

قدم الإنس هنا؛ لأن علم النفوس بطمث الإنس ونفرتها ممن طمثها الرجال هو المعروف فجاء النفي على مقتضى ذلك؛ فكان تقديم الإنس في هذا النفي أهم [١] .

٤ – قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [٢] .

قدم الإنس على الجن في هذه الآية لما يلي:

(أ) أن هذا حكاية كلام مؤمني الجن بعد سماع القرآن

والإنس أول من بدأ بالتصديق والتكذيب قبل الجن فقدموا هنا ؛ لتقدمهم في الخطاب بالقرآن وتقدمهم في التصديق والتكذيب

(ب) أن هذا حكاية كلام مؤمني الجن لقومهم بعد أن رجعوا إليهم فأخبروهم بما سمعوا من القرآن وعظمته وهدايته إلى الرشد ثم اعتذروا عما كانوا يعتقدونه أولا بخلاف ما سمعوه من الرشد بأنهم لم يكونوا يظنون أن الإنس والجن يقولون على الله كذبا فتقديمهم الإنس هنا أبلغ في عدم التهمة وأن لا يظن بهم قومهم أنهم ظاهروا الإنس عليهم فإنهم أول ما أقروا بتقولهم الكذب على الله تعالى [٣] .

٣ـ تقديم اللعب على اللهو:

قدم اللعب على اللهو في ستة مواضع هي:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [٤] .

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾ [٥] .

---

(١) انظر: بدائع الفوائد ط الفوائد: ١/ ١١٧ .

(٢) سورة: الجن: ٥

(٣) انظر: بدائع الفوائد ط الفوائد: ١/ ١١٨، ١١٩ .

(٤) سورة: الأنعام: ٣٢

(٥) سورة: الأنعام: ٧٠

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ (١) .

٤ ـ قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝١٦ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ (٢) .

٥ ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴾ (٣) .

٦ ـ قوله تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ (٤) .

والحق أَن تَقديمَ اللعب عَلَى اللهو لَا يَحتَاج إِلَى تَعليل؛ لأَنه الأَصل المقَدم في الوجود؛ حيث إن اللعب هو: الفعل الذي لَا يَقصد به فَاعله مَقصدا صَحيحا من تَحصيل مَنفَعَة أَو دَفع مَضَرة، كَأَفعَال الأَولَاد الصغَار التي يَتَلَذذونَ بهَا لذَاتهَا فيعقب التعب من غير فائدة (٥) .

واللهو: هو الشيء الذي يتلذَذ به الإنسان فيلهيه ثم ينقضي، وأصله الترويح عن النفس بما لا تقتضيه الحكمة، فهو كل باطل ألهى عن الخير وعمَا يعني (٦)؛ ثم توسعَ به فَصَارَ يطلَق أَحيَانا عَلَى مَا يَسر وَيَلَذ وَإِن لَم يقصَد به التشَاغل عَن أمور الجد، كَمغَازَلَة النسَاء وَالاستمتَاع بهن، وَمنه قَول الشاعر:

---

(١) سورة: الأنبياء: (٢: ٣)
(٢) سورة: الأنبياء (١٦: ١٧)
(٣) سورة: محمد: ٣٦
(٤) سورة: الحديد: ٢٠
(٥) انظر: التعريفات: ص: ١٩٢ ؛ تفسير المنار: ٧/ ٣٠٣ .
(٦) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف ـ باب: اللام ـ فصل: الهاء: ٢٩٣ .

أَلَا زَعَمَت بَسبَاسَة اليَومَ أَنني ... كَبرت وَأَلا يحسنَ اللهوَ أَمثَالي [٢،١]

وعلى هذا فيَحسن الترتيب الوجودي، بتَقديم اللعب عَلَى اللهو الذي هوَ طَريق الترَقي؛ لأَنه انتقَال من عَبَث لَيسَ لَه عَاقبَة نَافعَة إِلَى لَهو فَائدَته سَلبية عَاجلَة ٠

ويشهد لهذا آيَة سورة الحَديد، التي فَصلَت مَتَاعَ الحَيَاة الدنيَا بحَسَب تَرتيبه الذي تَقتَضيه الفطرَة البَشَرية، فَقَدمَ فيهَا اللعبَ لأَن أَولَ عَمَل للطفل يَلَذ لَه هوَ اللعب المَقصود عندَه لذَاته، وَذَكَرَ بَعدَه اللهوَ لمَا فيه منَ القَصد الذي لَا يَأتي منَ الطفل ؛ لأَنه لَا يَحصل إلا لذي الفكر ولهذا قال بعض أهل العلم: الدنيا لعب} كلعب الصبيان وَلَهو كلهو الشبان وزينة كزينة النسوان وتفاخر كتفاخر الإخوان وتكاثر كتكاثر السلطَان: [٣] ٠

وقدم اللهو على اللعب في موضعين هما:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ** ﴾ [٤] ٠

قدم اللهو على اللعب في هذه الآية لأن الخطاب هنا من أهل الجنة لعامة الكفار، وهم الذين شغلتهم الحياة الدنيا وحلاوتها، والولاية وغباوتها، واستحلاء ما مرنت عليه طباعها، وهذا هو اللهو ٠

ثم كانت أفعالهم التي اقتدوا فيها بآبائهم لما طابت لهم ولم يجدوا في العاقبة نفعا عليهم كاللعب الذي ينطوي على أفعال تبطل في الآجل وإن سرت في العاجل، وهذا بعد الأول.

---

(١) هذا البيت من بحر الطويل وهو لامرئ القيس في ديوانه: ١٣٦

(٢) انظر: تفسير المنار: ٧/ ٣٠٣ ؛ التعريفات الفقهية: ١٨٩ ٠

(٣) انظر: درة التنزيل وغرة التأويل: ٢/ ٥٢٠ ـ ٥٢٢ أسرار التكرار في القرآن: ١٠٨ ؛ تفسير المنار: ٧/ ٣٠٥، ٣٠٦ ٠

(٤) سورة: الأعراف: ٥١

وأكثر الكفار دأبهم اللهو وإن شغلتهم الحال التي استصحبوها عن الفكر فيما يطرأ عليها فوجب لهذا تقديم ذكر اللهو لوجهين: لتقدمه على ما هو كاللعب ولأنه أكثرهم (١) .

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

إن وصف الدنيا في هذه الآية بأنها لهو ولعب إنما هو للمبالغة في وصف قِصَر مدة الدنيا بالإضافة إلى مدة الأخرى، فكأنه قال: ما أمد الحياة الدنيا إلا كأمد أزمنة اللهو واللعب، فهي أزمنة لشغل النفس بحلاوة ما يتعجل والدليل على ذلك ذِكْروا اسم الإشارة المشعر بالتحقير، ثم عقبه بقوله تعالى في الآية نفسها: ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ﴾ أي: أن حياتها تبقى أبدا، ولا تعزب أمدا. وإنما قدم الله اللهو على اللعب هنا، لأن الأزمنة التي يقصرها اللهو أكثر من الأزمنة التي يقصرها اللعب، لأن التشاغل به أكثر. ؛ فلما كان معظم ما يستقصر وجب تقديم ما يكثر على ما هو دونه في الكثرة، لأن ذلك آخذ بالشبه، وأبلغ في وصف المشبه، ولا خلاف أن الناس أزمنتهم المشغولة باللهو أكثر من أزمنتهم المشغولة باللعب، وإن طيبها لهم يخيل قصرها إليهم، ويتفاوت طيبها على حسب تفاوت ميل النفس إلى محبوبها ؛ فمعظم ما يرى الزمان الطويل قصيرا زمان اللهو بالنساء، وهو الذي نشأت منه فتنة الرجال وهلاك أهل الحب (٣) .

٤ ـ تقديم الركوع على السجود،

ذلك أن الترتيب الطبعي للصلاة أن يقدم الركوع على السجود ؛ لأنه يكون أولا، كما في قوله تعالى: ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ (٤) .

---

(١) انظر: درة التنزيل وغرة التأويل: ٢/ ٥١٩، ٥٢٠ .

(٢) سورة: العنكبوت: ٦٤

(٣) انظر: درة التنزيل وغرة التأويل: ٢/ ٥٢٣ـ ٥٢٥ ؛ روح المعاني: ٤/ ١٢٧ .

(٤) سورة البقرة: ١٢٥

بيد أن السجود قدم على الركوع في آية واحدة هي قوله تعالى: ﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ (١) .

وقد ذكر العلماء في السر في هذا الترتيب أوجها عديدة، لكنها كما قال العلامة الآلوسي بعد أن ذكرها: وكل من هذه الأوجه لا يخلو عن دغدغة " (٢) .

ولكن بالتأمل في الآية الكريمة يتبين أن الترتيب فيها جاء من الأعم إلى الأخص .

وبيان ذلك أن القنوت هو: الطاعة الدائمة فيدخل فيه القيام والذكر والدعاء، وأنواع الطاعة .

ثم ذكر ما هو أخص منه وهو السجود الذي يشرع وحده، كسجود الشكر والتلاوة، ويشرع في الصلاة، وفي كل ركعة سجدتين، فهو أخص من مطلق القنوت .

ثم ذكر الركوع الذي لا يشرع إلا في الصلاة، وفي كل ركعة ركوع واحد، ولا يسن الإتيان به منفردا فهو أخص مما قبله (٣) .

وقد يعكس الترتيب ؛ فيكون من الخاص إلى العام، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ (٤).

فقد ذكر في هذه الآية أربعة أشياء، أخصها: الركوع، ثم السجود أعم منه، ثم العبادة أعم من السجود، ثم فعل الخير العام المتضمن لذلك كله (٥) .

قلت: الذي أراه أن الترتيب يختلف تصاعديا وتنازليا على حسب حال المكلف ؛ فإذا قويت عزيمته كان التدرج معه تنازليا ؛ لأن نفسيته قوية تتحمل المفاجأة بالصعب، كما في حال مريم ـ عليها السلام ـ حيث كانت من الكاملات،

(١) سورة: آل عمران: ٤٣
(٢) انظر: روح المعاني: ٢/ ١٥١ .
(٣) انظر: بدائع الفوائد: ١/ ٨٠ .
(٤) سورة: الحج: ٧٧
(٥) انظر: بدائع الفوائد: ١/ ٨١ .

كما قال النبي ـ ﷺ ـ: (كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء: إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران) (١) .

وأما آية سورة الحج فهي خطاب للمؤمنين جميعا، وهم متفاوتون في قوة العزيمة ؛ فتدرج معهم من الأدنى إلى الأعلى مراعاة لحالهم .

ثالثا: التخلية قبل التحلية:

يقدم القرآن بعض الأشياء على بعض ؛ لمراعاة كون المقدم فيه تخلية، والمؤخر فيه تحلية، ومن ذلك ما يلي:

١ ـ تقديم الضر على النفع وعكسه:

قدم الله الضر على النفع في تسعة مواضع، منها:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (٢) .

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (٣) .

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (٤) .

وتقديم الضر على النفع في هذه المواضع كلها يرجع إلى قاعدة عامة هي: أن التخلية مقدمة على التحلية، وبيان ذلك كما يلي:

١ ـ أن الإنسان يخدم غيره إما لدفع الضرر أو لجر النفع، والناس يراعون دفع الضرر قبل جر النفع، ولذلك كان الاحتراز من المَضَارة كلها واجبا وليس طلب المنافع كلها واجبا (٥) .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب: أحاديث الأنبياء ـ باب: قول الله تعالى: (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون) عن أبي موسى الأشعري: ٤/ ١٥٨ (٣٤١١)

(٢) سورة: المائدة: ٧٦

(٣) سورة: يونس: ٤٩

(٤) سورة: الفتح: جزء من الآية ١١

(٥) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني: ٥/ ٤١٣ .

٢ ـ أن أدنى درجات التأثير دفع الشر ثم جلب الخير [١] .

٣ ـ أن الكائن الحي يطلب السلامة لنفسه أولا، كي يضمن وجوده وبقاءه، ؛ فإذا تمكن من استخلاص نفسه من بين الأخطار التي تترصده، وتريد القضاء عليه، كان له بعد ذلك أن يطلب ما ينفع في إمساك حياته، واستمرار وجوده[٢].

٤ ـ أن أكثر ما جاء في القرآن من لفظي الضر والنفع معا، جاء

بتقديم لفظ الضر على النفع، لأن العابد يعبد معبوده خوفا من عقابه أولا ثم طمعا في ثوابه ثانيا، ويشهد لهذا قوله ـ ﷻ ـ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا ﴾ [٣] (٤٣، ٤) .

قلت: قد تكون لبعض المواضع أسرار أخرى، بالإضافة إلى هذا السر العام .

وقدم النفع على الضر في ثمانية مواضع، ولكن بعض هذه المواضع متفق في الغرض ؛ فلها سر واحد يجمعها، وبعضها منها له سر يخصه، وبيان ذلك كما يلي:

(أ) الآيات التي لها سر يجمعها:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [٥] .

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [٦]

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم: ٣/ ٦٨ ؛

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن: ٣/ ١١٥٢ .

(٣) سورة: السجدة: جزء من الآية ١٦

(٤) انظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل: ١/ ٤٧٦ .

(٥) سورة: الأنعام:٧١

(٦) سورة: يونس: ١٠٦

٣- قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝٦٦ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [١] .

٤ - قوله تعالى: ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۝٧٢ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ [٢] .

والسر في تقديم النفع على الضر في هذه الآيات أنها تتحدث عن العبادة والدعاء والمقصود بهما غالبا طلب النفع وجلبه ؛ ولذا كان تقديم النفع أهم [٣]

(ب) الآيات التي لها سر خاص هي:

١ - قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [٤] .

والسر في تقديم النفعَ عَلَى الضرِ في هذه الآية ؛ أَنه تَقَدمَ قبلها قوله تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ ﴾[٥]. فَقَدمَ الهدَايَةَ على الضلال وبعده قوله تعالى: ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[٦]. فَنَاسبَ تَقديم النفع[٧]

٢ - قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ [٨] .

---

(١) سورة: الأنبياء: (٦٦، ٦٧)

(٢) سورة: الشعراء: (٧٢، ٧٣)

(٣) انظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني: ص: ١٦٢ . ههه

(٤) سورة: الأعراف: ١٨٨

(٥) سورة: الأعراف: ١٧٨

(٦) سورة: الأعراف: ١٧٨

(٧) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٥/ ٢٤٠ .

(٨) سورة: الرعد:١٦

إن الولي دأبه نفع وليه مطلقا أصابه ضراء أم لم يصبه، وسواء قدر على دفع الضر أم لا، فناسب تقديم النفع على الضر [١] .

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴾ [٢]

فهذه الآية جاءت موافقة لسياقها، حيث قدم فيه الأفضل على الأنقص، حيث قدم العذب على الملح، والنسب على المصاهرة ؛ فاقتضى ذلك تقديم النفع على الضر اتباعا لما تقدم [٣] .

٤ ـ قوله تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ [٤] .

فَقَدَمَ النفعَ في حَيز النفي تَأييسا لَهم لأَنهم كَانوا يَرجونَ أَن يَشفَعوا لَهم يَومَئذ ويَقولونَ هؤلاء شفَعاؤنا عندَ الله [يونس: ١٨]

وَعَطَفَ نَفيَ الضر عَلَى نَفع النفع للدلَالَة عَلَى سَلب مَقدرَتهم عَلَى أَي شَيء فَإن بَعضَ الكَائنَات يَستَطيع أَن يَضر وَلَا يَستَطيع أَن يَنفَعَ كَالعَقرَب [٥]

ثم إنه تقدم في هذه السورة قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ [٦] . فقدم البسط على التقدير، وهذا يقتضي تقديم النفع على الضر [٧].

---

(١) انظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني: ٢١٨ . ههه
(٢) سورة: الفرقان: (٥٣ ـ ٥٥)
(٣) انظر: درة التنزيل وغرة التأويل: ١/ ٩٦٠ .
(٤) سورة: سبأ: ٤٢
(٥) انظر: التحرير والتنوير: ٢٢/ ٢٢٤ .
(٦) سورة: الرعد: جزء من الآية ٢٦
(٧) انظر: روح المعاني: ٥/ ١٢٧ .

٢ ـ تقديم المغفرة على الرحمة

جاءت المغفرة مقدمة على الرحمة في القرآن الكريم في أكثر من ستين موضعا، منها:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) .

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (٢) .

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (٣)

والسر في ذلك:ما يلي

١ ـ أن "المغفرة سلامة والرحمة غنيمة، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة (٤) .

٢ ـ أن المغفرة ترك المؤاخذة، وهي غير متناهية، والرحمة فعل، وهو متناهي، ؛ فقدمت المغفرة ؛ لأن التخلية قبل التحلية (٥) .

بيد أن الرحمة قدمت على المغفرة في قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ (٦) .

والسر في ذلك ما يلي:

١ ـ أن هذه الآية تتحدث عن جميع الكائنات السماوية والأرضية، وكلهم محتاجون إلى رحمته تعالى، وأما المغفرة فتخص بعضهم، وهم المكلفون ؛ فالرحمة عامة، والمغفرة خاصة، والعموم قبل الخصوص بالرتبة (٧) .

---

(١) سورة: البقرة: جزء من الآية ١٧٣

(٢) سورة: يوسف: ٩٨

(٣) سورة: المؤمنون: ١١٨

(٤) انظر: تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة: ٤/ ١٧١ .

(٥) انظر: البحر المديد: ٣/ ٢٨١ .

(٦) سورة: سبأ: ٢

(٧) انظر: تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة: ٤/ ١٧١ .

٢ ـ أن الرحمة تكون بإيصال الخير بكل صوره، وأما المغفرة فتكون بالمسامحة والتجاوز، وعلى هذا فالمغفرة صورة من صور الرحمة، فالرحمة أعظم[١] .

قلت: قد يقول قائل: إذا كانت الرحمة أعم من المغفرة، وأعظم منها ؛ فلم لم يرد في القرآن تقديم الرحمة أكثر من تقديم المغفرة ؟ ٠

الجواب: أن القرآن نزل دستورا للمكلفين، وعلم أنهم لن يقيموا حدوده على الوجه الأكمل لقوله ـ ﷺ ـ (كل بَني آدَمَ خَطاء، وَخَير الخَطائينَ التوابونَ") (٢) ؛ لذا كان تقديم المغفرة في الحديث عن المكلفين أبلغ ٠

(١) انظر: التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني: ٣٧، بترقيم الشاملة آليا٠

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه ـ الزهد ـ باب ذكر المغفرة عن أنس: ٥/ ٣٢١ / رقم: (٤٢٥١) وحسنه الأرناؤوط ٠

رابعا: التنزُّل من الأعلى للأدنى وعكسه:

وذلك أن العرب تارة يبتدئون بالأكثر ثم ينزلون إلى الأقل كقولك: فلان يخون في الكثير والقليل فتبدأ بالكثير ثم تردف عليه الخيانة فيما دونه، وتارة يبتدئون بالأقل ثم يرتقون إلى الأكثر كقولك: فلان أمين على القليل والكثير فتبدأ بالقليل ثم تردف عليه الأمانة فيما هو أكثر منه، ولو عكست في كل واحد من المثالين لم يكن حسنا فإنك لو قدمت في الخيانة القليل لعُلِم أنه يخون في الكثير. من باب أولى، ولو قدمت في الأمانة ذكر الكثير لعُلِم أنه أمين في القليل من باب أولى، فلم يكن لذكره بعد ذلك فائدة

وعلى هذا جاء قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾ [1]، حيث قدم التجارة هنا ليبين أنهم ينفضون إليها، وأنهم مع ذلك ينفضون إلى اللهو الذي هو دونها ثم جاء قوله تعالى:﴿ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ﴾[2] فقدم اللهو ليبين أن ما عند الله خير من اللهو، وأنه أيضا خير من التجارة التي هي أعظم منه، ولو عُكِس كل واحد من الموضعين لم يحسن[3]

والله أعلم

(١) سورة: الجمعة: جزء من الآية ١١
(٢) سورة: الجمعة: جزء من الآية ١١
(٣) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٢/ ٣٧٦ .

المبحث الرابع
التقديم والتأخير لمراعاة التناسب النحوي

ترد في القرآن الكريم جمل مرتبة بالترتيب النحوي الطبعي، ثم ترد مرة أخرى بتقديم بعض الكلمات لأغراض، من ذلك ما يلي:

١ ـ التقديم لأمن اللبس:

من ذلك قوله تعالى في قصة سيدنا نوح ـ عليه السلام ـ: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾ (١)، حيث جاءت كلمة ﴿ مِن قَوْمِهِۦ ﴾ مؤخرة بعد الموصول وصلته، وهذا أمر طبعي، بيد أن هذه الجملة ذكرت بعد ذلك في قصة سيدنا هود ـ عليه السلام ـ بتقديم كلمة) مِن قَوْمِهِۦ ﴾ حيث قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ (٢)، والسر في هذا التقديم: أنه لم يرد في قصة نوح ـ عليه السلام ـ غير صفة واحدة جعلت مع موصوفها كشيء واحد ؛ لذا قرنت بموصوفها وتأخر المجرور، فقال تعالى: (فَقَالَ المَلَأ الذينَ كَفَروا من قَومه)، وحيث لم يقع الاكتفاء بصفة واحدة وزيد عليها صفتين أخريين، ولا يمكن جعل صفتين فما زاد مع موصوفها كشيء واحد، ؛ لذا قدم المجرور، لئلا يحال بين الصلة وما عطف عليها،

لأَن تَأخيره ملتبس وتوسطه رَكيك فَخص بالتقديم، ولو قال: وقال الملأ الذين كفروا من قومه وكذبوا بلقاء الآخرة لم يكن على النظم المرتضى فيما يستفصح من الكلام وإن كان جائزا، فلذلك قدمه (٣) .

٢ ـ التقديم لمشاكلة الأفعال السابقة:

وقد وقع ذلك في القرآن في مواضع منها:

---

(١) سورة: المؤمنون: جزء من الآية ٢٤

(٢) سورة: المؤمنون: جزء من الآية ٣٣

(٣) انظر: درة التنزيل: ١/ ٩٣٥ ؛ أسرار التكرار في القرآن: ١٨٤ ؛ ملاك التأويل: ٢/ ٣٦٧، ٣٦٨ .

(أ) قوله تعالى في قصة سيدنا نوح ـ عليه السلام ـ: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ ﴾ (١)، حيث ذكر الفعل ومفعوليه، ثم ذكر الجار والمجرور، بيد أنه في قصة سيدنا صالح ـ عليه السلام ـ قدم الجار والمجرور على المفعول الثاني فقال: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ ﴾ (٢)،

والسر في ذلك: أنه تقدم على هذه الجملة ثلاثة أفعال كل واحد منها يتعدى إلى مفعولين، والمفعول الثاني منهما لا يحجزه عن الأول معمول فيه وهي: قوله تعالى: ﴿ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴾ (٣) .

وهذه الأفعال هي:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا ﴾ .

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ ﴾ فـ (اتبعك) في موضع المفعول الثاني من (نراك) .

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴾ .

فاقتضى ذلك إجراء هذا الفعل ومفعوليه على ما جرى عليه الأفعال التي قبله؛ لأن هذا أولى من جعله مختلفا عنها .

وأما في قصة سيدنا صالح ـ عليه السلام ـ فإنه بإزاء قول قومه له: ﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآ ﴾ (٤) ؛ فوقع خبر كان الذي هو كالمفعول لها، وقد تقدمه الجار والمجرور، فجرى

جواب صالح ـ عليه السلام ـ علي وفق ذلك ؛ فاقتضي تقديم الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ ﴾ على المفعول الثاني .

---

(١) سورة: هود: جزء من الآية ٢٨

(٢) سورة: هود: جزء من الآية ٦٣

(٣) سورة: هود: جزء من الآية ٢٧

(٤) سورة: هود: جزء من الآية ٦٢

على أن في تقديم المجرور في قوله﴿ وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً ﴾، توكيد يدل على أن الرحمة منه سبحانه لا يشرك فيها غيره، فهو مخصوص لا يحصل مع تأخيره.

فلما بالغ قوم صالح - عليه السلام - في إساءة الجواب حين قالوا: ﴿ قَد كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَآ ﴾ بالغ - عليه السلام - في رد مقالهم، فقدم المجرور ولما لم يكن في مراجعة قوم نوح مثل هذا في شناعة الجواب، لأن أقصى المفهوم من قولهم: (مَا نَرَاكَ إلا بَشَرا مثلَنَا)، إلحاقه بهم ومماثلته إياهم، وكلهم يقولون لو كنت رسولا لكنت من الملائكة ولم تكن لتماثلنا. فلم يكن في قول هؤلاء ما في قول قوم صالح، فجرى جوابه - عليه السلام - على نسبة ذلك فقال: (وَآتَاني رَحمَة من عنده)، فأتى بالمجرور متأخرا في محله على ما يجب، حيث لا يقصد في إحراز المفهوم ما قصد في الآية الأخرى، فورد كل على ما يلائم [1] .

(ب) قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَـٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [2]

حيث قدم الضمير المؤكد (نَحْنُ) على المفعول والسر في ذلك: أن الأفعال الواردة في الآيتين السابقتين في قوله تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ [3] كلها أفعال أسندت إلى فاعليها متصلة بها .

ومن هنا اقتضى الأمر أن يبنى قوله: ﴿ لقد وعدنا ﴾ على الأفعال المتقدمة بأن يتمم حكم الفاعل، وهو توكيده، والعطف عليه، فقدم (نحن وآباؤنا) على المفعول الثاني، وهو (هذا) لذلك ولأن الأصل ؛ إذا أجرى عليه الشيء أولى من غيره .

(١) انظر: درة التنزيل: ٢/ ٧٥٧ ؛ ملاك التأويل: ٢/ ٢٥٥، ٢٥٦ .
(٢) سورة: المؤمنون: ٨٣
(٣) سورة: المؤمنون: (٨١، ٨٢)

بيد أن قوله تعالى في سورة النمل: ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (١) قدم فيها المفعول الثاني (هَٰذَا)، وأخر العطف على الفاعل المضمر فجاء: ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ ﴾؛ وذلك لأن الذي تقدمها: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ ﴾ (٢) .

فأخر المعطوف على اسم (كان) الذي هو كالفاعل لها، وهو قوله: (وآباؤنا) عن المنصوب الذي هو كالمفعول لها، وهو قوله: (ترابا) فصار ما هو كالمفعول مقدما على ما هو معطوف على الفاعل، فاقتضى البناء عليه تقديم المفعول، وتأخير التوكيد والعطف ...) لذلك (٣) .

وعلى هذا فالتعبير في سورة المؤمنون جاء على الأصل ؛ لأن تأخير المفعول عن الفاعل وما يتعلق به هو الأصل .

وأما التعبير في سورة النمل ؛ فتقديم المفعول على خلاف الأصل للتنبيه على أهميته، والدليل على ذلك أنه قال قبلَه: ﴿ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ ﴾ فَالجهَة المَنظور فيهَا هنَا هيَ كَون أَنفسهم وَكَون آبَائهم تَرَابا

وأما في سورة المؤمنون فالذي قَبلَه﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا ﴾ فَالجهَة المَنظور فيهَا هنَاكَ هيَ كَون أَنفسهم ﴿ تُرَابًا وَعِظَٰمًا ﴾ ؛ فاقتضى ذلك تقديم المفعول في النمل دون المؤمنون . (٤) .

٣ ـ التقديم لعدم الفصل بين المتعلقين:

فقد قال تعالى في سورة النحل: ﴿ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ ﴾ (٥)، وهذا ترتيب طبعي أصلي ؛ لأن الفعل (سخر) سيق في معرض امتنان الله ـ ﷻ ـ على عباده، والأصل في هذا المقام أن يقدم الفعل ثم مفعوله الأول الذي أصله

(١) سورة: النمل: ٦٨
(٢) سورة: النمل: جزء من الآية ٦٧
(٣) انظر: درة التنزيل: ١/ ٩٤٣ .
(٤) انظر: التحرير والتنوير: ٢٠/ ٢٥ .
(٥) سورة: النحل: جزء من الآية ١٤ .

أن يكون معرفة، ثم مفعوله الثاني الذي أصله أن يكون نكره، ثم الظرف الذي هو كالفضلة فجاء هذا الموضع على هذا الأصل ٠

بيد أن الظرف قدم على المفعول الثاني في سورة فاطر في قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1]، وإنما قدم الظرف﴿ فِيهِ ﴾ لئلا يفصل بين لام العلة وبين متعلقها وهو مواخر. وإنما بني هذا التوجيه على أن قوله: فيه متعلق ب مَواخرَ لا ب تَرَى لقرب هذا وبعد ذاك ٠

ويقوي هذا التقديم: أن الجار والمجرور قدما على الفعل نفسه، في قوله تعالى: ﴿ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ [2]؛ فلما عرض قوله: ﴿ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ ﴾ بعد فعل هذه صفته، وقد حصل فيه مفعولان، وجار ومجرور قوي تقديم الجار والمجرور على أحد معموليه ليعلم أنه من جملة كلام بني الفعل فيه على تقديم الجار والمجرور عليه [3] ٠

والله أعلم

(١) سورة: فاطر: جزء من الآية ١٢
(٢) سورة: فاطر: جزء من الآية ١٢
(٣) انظر: درة التنزيل: ١/ ٨٣٤ ؛ غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٤/ ٢٤٩ ؛

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ٠

أما بعـــد ٠٠

فهذا بحث من أهم البحوث للمهتمين بالدراسات القرآنية عموما، وللمفسرين خصـــوصا ؛ ذلك أن بلاغـــة القرآن وفصاحته هي أهم وجوه إعجازه، وبها تحدى الله ﷻ ـ العرب أن يأتوا بمثله، بل بمثل أقصر سورة منه.

ولما كانت الدراسات القرآنية كثيرة لا حصر لها، وكان أكثر الباحثين فيها ينشغلون بما يدور على الساحة من القضايا القرآنية ؛ فينسيهم ذلك كثيرا من الموضوعات غير المطروحة على الساحة، وربما يعتقد البعض أنها هامشية، ولا داعي لإضاعة الوقت فيها، حسبما يعتقدون، وكان موضوع: (التقديم والتأخير في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم) من الموضوعات التي لم تفرد بدراسة خاصة بها خاصة أنها تتعلق بعلمين واسعين هما: علم التقديم والتأخير، وعلم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم ؛ لذا رأيت لزاما علي أن أبين للباحثين أهمية هذا الموضوع ٠

ويمكن استخلاص نتائج هذا البحث فيما يلي:

١ ـ أن تدهور اللغة العربية في عصرنا انعكس سلبا على المشتغلين بالتفسير وعلوم القرآن ٠

٢ ـ أن عدم وضع علوم البلاغة في المناهج الدراسية لكليات أصول الدين بجامعة الأزهر ؛ جعل الكثير من الخريجين يجهلونها ٠

٣ ـ أن نظرة النحاة للتقديم والتأخير تختلف عن نظرة البلاغيين لهذا الفن؛ ذلك أن النحاة ينظرون إليه من جهة: الوجوب والجواز والمنع ؛ وأما البلاغيون فلا يعنون بالواجب والممتنع ؛ لأن هذا لو صدر من المتكلم ؛ لكان عيا وعيبا لا يعبأ به ٠

٤ ـ أن التقديم والتأخير له أهمية بلاغية كبيرة، اكتسبها من كونه أحد علوم المعاني التي لها أثر كبير في دلالة الكلام العربي، حيث ترسم صورة لما يدور في ذهن المتكلم ٠

٥ ـ أن كل تقديم أو تأخير في الكلام العربي لابد أن يكون معتمدا علي أهمية المقدم أو التشويق للمؤخر أو نحو ذلك، وذلك يعتبر كالقانون الجامع الذي له مظاهر وتجليات كثيرة تدور في فلك الانفعالات النفسية من تعجب واستعظام وفرح وحزن وتفاؤل وتشاؤم ومدح وذم وتشويق وتبكيت وغير ذلك ٠

٦ ـ أن القرآن الكريم بلغ في هذا الفن الذروة في وضع الكلمات الوضعَ الذي تستحقه في التعبير بحيث تستقر في مكانها المناسب ٠

٧ ـ أن السياق له أثر كبير في ترتيب الجملة، حتى إنه إذا تعارض مع الأغراض العامة للتقديم والتأخير: كالترتيب الرتبي، أو الزمني، أو العددي، أو نحو ذلك رجحت كفة السياق ؛ فخولف الترتيب لمراعاته ٠

٨ ـ أن القرآن الكريم يقدم بعض الكلمات، أو يؤخرها على حسب حال المتحدث عنهم ٠

٩ ـ أن القرآن الكريم يقدم بعض الكلمات أو يؤخرها لمراعاة ترتيب معين: كالترتيب الرتبي، أو الترتيب الزمني، أو الترتيب العددي، أو غير ذلك ٠

١٠ ـ أنه ترد في القرآن الكريم جمل مرتبة بالترتيب النحوي الطبعي، ثم ترد مرة أخرى بتقديم بعض الكلمات لأغراض عديده فيراعى ذلك لأجل التناسق النحوي بين الجملة وما قبلها ٠

١١ـ أن القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي غرائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد، ومن هنا ـ أوصي الباحثين أن يستفرغوا وسعهم، ويعملوا عقولهم في البحث عن الموضوعات القرآنية التي لم تطرق ؛ حتى لا يظلوا دائرين في حلقة مفرغة: ما قاله عالم يؤكده آخر، وما بناه هذا ينقضه ذاك، وهلم جراً ٠

وفي الختام لا يسعني إلا أن أردد قول الحق - ﷻ -: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (١) .

والله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ؛

إنه نعم المولى، ونعم النصير

أ.د رزق محمد رزق السواحلي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
بكلية أصول الدين بطنطا

(١) سورة البقرة: ٢٨٦ .

المراجـــع

١. القرآن الكريم
٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم . أبو السعود العمادي [ت٩٨٢هـ] . ط/ إحياء التراث العربي . بيروت . د٠ت٠
٣. أسرار البلاغة ـ أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار [ت: ٤٧١هـ] ـ تح / محمود محمد شاكر ـ ط / مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة ٠
٤. أسرار البيان في التعبير القرآني ـ دكتور فاضل صالح السامرائي ـ ط / مطابع يوسف بيضون ـ بيروت ـ الثانية ـ ١٤٤٠ هـ ٢٠١٩م٠
٥. أسرار العربية ـ عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري [ت: ٥٧٧هـ] ـ ط / دار الأرقم بن أبي الأرقم ـ الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م ٠
٦. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن . محمد الأمين الشنقيطي ت ١٣٩٣هـ ط/ دار الفكر . بيروت . لبنان . ١٤١٥ هـ . ١٩٩٥م
٧. الإيضاح في علوم البلاغة ـ محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق [ت: ٧٣٩هـ] ـ تح / محمد عبد المنعم خفاجي ـ ط / دار الجيل – بيروت ـ الثالثة
٨. البحر المحيط في التفسير . أبو حيان الأندلسي ت ٧٤٥هـ . تح/ صدقي محمد جميل . ط / دار الفكر . بيروت . ١٤٢٠هـ
٩. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد . ابن عجيبة الحسني ت ١٢٢٤هـ . تح/ أحمد القرشي رسلان . ط/ د ٠حسن عباس زكي . القاهرة . ١٤١٩هـ٠
١٠. بدائع الفوائد ـ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية [ت: ٧٥١هـ] ـ تح / علي بن محمد العمران ـ ط / دار عالم الفوائد مكة المكرة
١١. البرهان في توجيه متشابه القرآن (أسرار التكرار في القرآن) ـ محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء [ت:

٥٠٥هـ] ـ تح / عبد القادر أحمد عطا ـ أحمد عبد التواب عوض ـ ط / دار الفضيلة ٠
١٢. البرهان في علوم القرآن . أبو عبد الله بدر الدين الزركشي ت ٧٩٤هـ . تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم . ط / دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي الأولى ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م٠
١٣. البلاغة العربية . عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي [ت١٤٢٥هـ] . ط / دار القلم . دمشق . الدار الشامية . بيروت . الأولى . ١٤١٦هـ . ١٩٩٦ م٠
١٤. تاريخ الفكر الديني الجاهلي ـ محمد إبراهيم الفيومي [ت: ١٤٢٧هـ] ـ ط / دار الفكر العربي ـ الرابعة ١٤١٥هـ-١٩٩٤
١٥. التحرير والتنوير . محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور . ط / مؤسسة التاريخ العربي . بيروت . لبنان . الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م٠*
١٦. التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل ـ أبو حيان الأندلسي ـ تح / د. حسن هنداوي ـ ط / دار القلم – دمشق (من ١ إلى ٥)، وباقي الأجزاء: دار كنوز إشبيليا. الأولى
١٧. التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية ـ علي علي صبح ـ ط / المكتبة الأزهرية للتراث
١٨. التعريفات . الشريف الجرجاني [ت٨١٦هـ] تح/ مجموعة من العلماء . ط / دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . الأولى ١٤٠٣هـ .١٩٨٣م٠*
١٩. التعريفات الفقهية ـ محمد عميم الإحسان المجددي البركتي ـ ط / دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م) ـ الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م
٢٠. تفسير ابن عرفة ـ محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله [ت: ٨٠٣هـ] ـ تح / جلال الأسيوطي ـ ط / دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ـ الأولى، ٢٠٠٨ م
٢١. التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني ـ سامي وديع عبد الفتاح شحادة القدومي ـ ط / دار الوضاح، الأردن – عمان ٠

٢٢. تفسير الراغب الأصفهاني . أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى [ت: ٥٠٢هـ] . تح / د. محمد عبد العزيز بسيوني . د. عادل بن علي الشِّدِي . د. هند بنت محمد بن زاهد سردار . ط / كلية الآداب . جامعة طنطا . دار الوطن . الرياض . كلية الدعوة وأصول الدين . جامعة أم القرى الأولى: ١٤٢٠هـ . ١٤٢٤هـ . ١٩٩٩ . ٢٠٠٣م٠
٢٣. تفسير الشعراوي "الخواطر" . محمد متولي الشعراوي [ت١٤١٨هـ] . ط/مطابع أخبار اليوم . ١٩٩٧م٠
٢٤. التفسير القرآني للقرآن . عبد الكريم الخطيب . ط/دار الفكر العربي . القاهرة . د٠ت٠
٢٥. تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم) . محمد رشيد رضا [ت١٣٥٤هـ] ط/الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٩٠م٠
٢٦. التفسير الوسيط . د٠ وهبة بن مصطفى الزحيلي . ط / دار الفكر . دمشق . الأولى . ١٤٢٢هـ
٢٧. التفسير الوسيط للقرآن الكريم . محمد سيد طنطاوي . ط/دار نهضة مصر . الفجالة . القاهرة . الأولى١٩٩٧، ١٩٩٨م٠
٢٨. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ـ الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي ـ تح / الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي ـ ط / دار طوق النجاة، بيروت – لبنان ـ الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م
٢٩. التوقيف على مهمات التعاريف . زين الدين المناوي [ت١٠٣١هـ] ط / عالم الكتب . القاهرة . الأولى ١٤١٠هـ١٩٩٠م٠
٣٠. الجملة القرآنية بين الاسمية والفعلية ـ دكتور أسامة عبد العزيز جاب الله ـ كلية الآداب ـ بحث منشور على موقع منتدى الفصيح ـ على شبكة الإنترنت
٣١. جمهرة اللغة . أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي [ت٣٢١هـ] . تح / رمزي منير بعلبكي . ط / دار العلم للملايين . بيروت . الأولى، ١٩٨٧م ٠
٣٢. حاشية الشهاب علي تفسير البيضاوي (عناية القاضي وكفاية الراضي) . الشهاب الخفاجي ت ١٠٦٩هـ ط / دار صادر . بيروت

٣٣. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ـ عبد القادر بن عمر البغدادي [المتوفى: ١٠٩٣هـ]ـ تح /عبد السلام محمد هارون ـ ط / مكتبة الخانجي، القاهرة ـ الرابعة، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م
٣٤. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ـ عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: ١٤٢٩هـ) ـ ط / مكتبة وهبة ـ الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م
٣٥. الخلاصة الجامعة لقواعد التفسير النافعة ـ حامد بن عبدالله العلي ـ د.ت
٣٦. درة التنزيل وغرة التأويل ـ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي [ت: ٤٢٠هـ] ـ تح / د/ محمد مصطفى آيدين ـ ط / جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها (٣٠) معهد البحوث العلمية مكة المكرمة ـ ط / الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م
٣٧. دلائل الإعجاز في علم المعاني ـ أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار [ت: ٤٧١هـ] ـ محمود محمد شاكر أبو فهر ـ ط / مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة ـ الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م
٣٨. ديوان: امرئ القيس . تح / محمد أبو الفضل إبراهيم . ط / دار المعارف . القاهرة . الخامسة . ١٩٩٠ م ٠
٣٩. ديوان حافظ إبراهيم . محمد حافظ إبراهيم [ت١٩٣٢م] . تح / أحمد أمين وآخرين . ط الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . الثالثة . ١٩٨٧م٠
٤٠. ديوان المعاني ـ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري [ت: نحو ٣٩٥هـ] ـ ط / دار الجيل – بيروت
٤١. رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز ـ الإمام الحافظ عز الدين عبد الرّازق بن رزق الله الرّسْعَني الحنبلي [ت: ٦٦١هـ] ـ تح / أ.د عبدالملك بن عبدالله بن دهيش ـ ط / الأولي: ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨ م ٠
٤٢. روح البيان . إسماعيل حقي الإستانبولي . ط / دار إحياء التراث العربى ٠

٤٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . محمود بن عبد الله الألوسي ت ١٢٧٠هـ تح/ علي عبد الباري عطية . ط / دار الكتب العلمية . بيروت . الأولى ١٤١٥هـ
٤٤. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير . محمد بن أحمد الخطيب الشربيني ت ٩٧٧هـ ط / مطبعة بولاق (الأميرية) . القاهرة ١٢٨٥هـ
٤٥. سنن ابن ماجه . محمد بن يزيد القزويني . تح / محمد فؤاد عبد الباقي ط / دار الفكر . بيروت ٠
٤٦. شذرات الذهب دراسة في البلاغة القرآنية ـ محمود توفيق محمد سعد ـ ط / الأولي ـ ١٣٢٢هـ
٤٧. شرح التصريح على التوضيح ـ خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد [ت: ٩٠٥هـ]. ط / دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان ـ الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م
٤٨. صحيح البخاري " الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه" . محمد بن إسماعيل البخاري . تح/ محمد زهير بن ناصر . ط / دار طوق النجاة (ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) . الأولى ١٤٢٢هـ
٤٩. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ـ يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه [ت: ٧٤٥هـ] ـ ط / المكتبة العنصرية – بيروت ـ الأولى، ١٤٢٣ هـ
٥٠. غرائب التفسير وعجائب التأويل . محمود بن حمزة الكرماني[ت: ٥٠٥هـ] . ط/دار القبلة . جدة . مؤسسة علوم القرآن . بيروت . د٠ت٠
٥١. غرائب القرآن ورغائب الفرقان . الحسن بن محمد النيسابوري ت٨٥٠هـ تح/ الشيخ زكريا عميرات . ط/ دار الكتب العلمية . بيروت . الأولى . ١٤١٦هـ٠
٥٢. فتح الرحمن في تفسير القرآن ـ مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي [ت: ٩٢٧ هـ] ـ تح / نور الدين طالب ـ ط / دار النوادر (إصدَارات وزَارة الأوقاف والشُؤُون الإسلامِيّة – إدَارَةُ الشُؤُونِ الإسلاَمِيّةِ) ـ الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م

٥٣. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) ـ شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي [ت: ٧٤٣ هـ] ـ تح / إياد محمد الغوج ـ د. جميل بني عطا ـ د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء ـ ط / جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ـ الأولى، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م ٠
٥٤. في الأدب الحديث . عمر الدسوقي . ط / دار الفكر العربي ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م٠
٥٥. القرآن وإعجازه العلمي ـ محمد إسماعيل إبراهيم ـ ط / دار الفكر العربي – دار الثقافة العربية٠
٥٦. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي . تح / عبد الرزاق المهدي . ط / دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان . الأولى ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م ٠
٥٧. كشف المعاني في المتشابه من المثاني ـ أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين [ت: ٧٣٣هـ] ـ تح / الدكتور عبد الجواد خلف ـ ط / دار الوفاء . المنصورة ـ الأولى، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م
٥٨. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ـ أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي [ت: ١٠٩٤هـ] ـ تح / عدنان درويش – محمد المصري ـ ط / مؤسسة الرسالة – بيروت
٥٩. لسان العرب . محمد بن مكرم ابن منظور ت ٧١١هـ ط / دار صادر . بيروت . الثالثة . ١٤١٤هـ ٠
٦٠. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ـ نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب [ت: ٦٣٧هـ] ـ تح / محمد محي الدين عبد الحميد ـ ط / المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت ـ ١٤٢٠ هـ ٠
٦١. المحكم والمحيط الأعظم . أبو الحسن بن سيده ت ٤٥٨هـ تح/ عبد الحميد هنداوي . ط / دار الكتب العلمية . بيروت . الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م٠

٦٢. المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم ـ د. محمد حسن حسن جبل ـ ط / مكتبة الآداب – القاهرة ـ الأولى، ٢٠١٠ م.
٦٣. المعجم الكبير. سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني . تح / حمدي بن عبد المجيد السلفي ط / مكتبة العلوم والحكم . الموصل . الثانية . ١٤٠٤ . ١٩٨٣ م٠
٦٤. معجم اللغة العربية المعاصرة ـ د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل ـ ط / عالم الكتب ـ الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م
٦٥. المعجم الوسيط . مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار . ط/ دار الدعوة . د٠ت٠
٦٦. مفاتيح الغيب . فخر الدين محمد بن عمر الرازي . ط / دار الكتب العلمية . بيروت . الأولى . ١٤٢١هـ . ٢٠٠٠ م٠
٦٧. المفردات في غريب القرآن . الراغب الأصفهانى ت ٥٠٢هـ تح/ صفوان الداودي . ط / دار القلم . دمشق . بيروت . الأولى . ١٤١٢هـ٠
٦٨. مقاييس اللغة . أبو الحسين أحمد بن فارس . تح / عبد السلام محمد هارون . ط / دار الفكر . بيروت . ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
٦٩. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل . أحمد بن إبراهيم الغرناطي [ت٧٠٨هـ] . تح/عبد الغني الفاسي . ط/دار الكتب العلمية . بيروت . د٠ت٠
٧٠. من بلاغة القرآن ـ أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي [ت: ١٣٨٤هـ] ـ ط / نهضه مصر – القاهرة ـ ٢٠٠٥
٧١. الموسوعة القرآنية . إبراهيم الإبياري ت ١٤١٤هـ ط / مؤسسة سجل العرب . ١٤٠٥هـ٠
٧٢. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور . برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي . تح / عبد الرزاق غالب المهدي . ط / دار الكتب العلمية . بيروت . ١٤١٥هـ . ١٩٩٥ م ٠

References:

1. alquran alkarim
2. 'iirshad aleaql alsalim 'iilaa mazaya alkitab alkarim 'abu alsueud aleimadii [t982h] ta/ 'iihya' alturath alearabii bayrut da0t0
3. 'asrar albalaghat 'abu bakr eabd alqahir bin eabd alrahman bin muhamad alfarisii al'asla, aljirjanii aldaar [t: 471hi] tih / mahmud muhamad shakri t / matbaeat almadanii bialqahirati, dar almadanii bijidat 0
4. 'asrar albayan fi altaebir alquranii duktur fadil salih alsaamaraayiy t / mutabie yusif bydun bayrut althaaniat 1440 ha 2019m0
5. 'asrar alearabiat eabd alrahman bin muhamad bin eubayd allah al'ansari, 'abu albarkati, kamal aldiyn al'anbari [t: 577h] t / dar al'arqam bin 'abi al'arqam al'uwlaa 1420hi-1999m 0
6. 'adwa' albayan fi 'iidah alquran bialquran muhamad al'amin alshanqitii t 1393h ta/ dar alfikr bayrut lubnan 1415 hi 1995m
7. al'iidah fi eulum albalaghat muhamad bin eabd alrahman bin eumra, 'abu almaeali, jalal aldiyn alqazwinii alshaafieii, almaeruf bikhatib dimashq [t: 739hi] tah / muhamad eabd almuneim khafaji t / dar aljil - bayrut althaalitha
8. albahr almuhit fi altafsir 'abu hayaan al'andalusi t 745h taha/ sidqi muhamad jamil t / dar alfikr bayrut 1420h

9. albahr almadid fi tafsir alquran almajid abn eajibat alhusnii t 1224h taha/ 'ahmad alqurashi raslan ta/ d 0hasan eabaas zaki alqahirat 1419h0
10. badayie alfawayid muhamad bin 'abi bakr bin 'ayuwb bin saed shams aldiyn abn qiam aljawzia [t: 751hi] tih / eali bin muhamad aleumran t / dar ealam alfawayid makat almakra
11. alburhan fi tawjih mutashabih alquran ('asrar altakrar fi alqurani) mahmud bin hamzat bin nasr, 'abu alqasim burhan aldiyn alkarmani, wayueraf bitaj alquraa' [t: 505h] tih / eabd alqadir 'ahmad eata 'ahmad eabd altawaab eawad t / dar alfadilat 0
12. alburhan fi eulum alquran 'abu eabd allah badr aldiyn alzarkashi t 794h taha/ muhamad 'abu alfadl 'iibrahim t / dar 'iihya' alkutub alearabiat eisaa albabi alhalabi al'uwlaa 1376h 1957m0
13. albalaghat alearabiat eabd alrahman bin hasan habannakat almaydanii aldimashqiu [t1425hi] t / dar alqalam dimashq aldaar alshaamiat bayrut al'uwlaa 1416h 1996 m0
14. tarikh alfikr aldiynii aljahilii muhamad 'iibrahim alfayuwmii [t: 1427hi] t / dar alfikr alearabii alraabieat 1415h-1994
15. altahrir waltanwir muhamad altaahir bin muhamad bin muhamad altaahir bin eashur t / muasasat altaarikh alearabii bayrut lubnan al'uwlaa 1420h 2000m0*
16. altadhyil waltakmil fi sharh kitab altashil 'abu hayaan al'andalusi tah / du. hasan hindawi t / dar alqalam -

dimashq (min 1 'iilaa 5), wabaqi al'ajza'i: dar kunuz 'iishbilya al'uwlaa

64. maejam allughat alearabiat almueasirat d 'ahmad mukhtar eabd alhamid eumar (almutawafaa: 1424hi) bimusaeadat fariq eamal t / ealam alkutub al'uwlaa, 1429 hi - 2008 m
65. almuejam alwasit majmae allughat alearabiat bialqahira ('iibrahim mustafaa . 'ahmad alzayaat hamid eabd alqadir muhamad alnajaar ta/ dar aldaewat da0t0
66. mafatih alghayb fakhr aldiyn muhamad bin eumar alraazi t / dar alkutub aleilmiat bayrut al'uwlaa 1421h 2000 mi0
67. almufradat fi gharayb alquran alraaghib al'asfuhanaa t 502h taha/ safwan aldaawudii t / dar alqalam dimashq bayrut al'uwlaa 1412hi0

64. The Dictionary of Contemporary Arabic - Dr. Ahmed Mukhtar Abdul Hamid Omar (deceased: 1424 AH) with the assistance of a working group - I / Alam Al-Kutub - Al-Ola, 1429 AH - 2008 AD
65. Al-Mujam Al-Waseet - The Arabic Language Academy in Cairo (Ibrahim Mustafa - Ahmed Al-Zayyat - Hamed Abdel-Qader - Muhammad Al-Najjar - I / Dar Al-Da`wah - Dr. 0 T0
66. Keys to the Unseen - Fakhr al-Din Muhammad bin Omar al-Razi - I / Dar al-Kutub al-Ilmiyyah - Beirut - the first - 1421 AH - 2000 AD 0

67. Vocabulary in Gharib Al-Quran - Al-Raghib Al-Isfahani, 502 AH, edited by Safwan Al-Dawudi, Dar Al-Qalam, Damascus, Beirut, 1412 AH.
68- harun t / dar alfikr bayrut 1399h 1979m.
69. mlak altaawil alqatie bidhawi al'iilhad waltaetil fi tawjih almutashabih allafz min ay altanzil 'ahmad bin 'iibrahim algharnati [t708hi] tah/eabd alghani alfasii ta/dar alkutub aleilmiat bayrut da0t0
70. man balaghat alquran 'ahmad 'ahmad eabd allah albayli albadawii [t: 1384h] t / nahdah misr - alqahirat 2005
71. almawsueat alquraniat 'iibrahim al'iibyari t 1414hu t / muasasat sijil alearab 1405h0
72. nuzum aldarar fi tanasub alayat walsuwr burhan aldiyn 'iibrahim bin eumar albiqaeii tah / eabd alrazaaq ghalib almahdii t / dar alkutub aleilmiat bayrut 1415h 1995 m 0

الفهرس

المقدمة	٤٤٣
التمهيد: تعريف التقديم والتأخير وقيمته البلاغية	٤٤٩
المبحث الأول: التقديم والتأخير لمراعاة السياق	٤٥٦
المبحث الثاني: التقديم والتأخير لمراعاة حال المنوط بالحديث	٤٦٧
المبحث الثالث: التقديم والتأخير لقصد الترتيب	٤٧٨
المبحث الرابع: التقديم والتأخير لمراعاة التناسب النحوي	٥٠٩
الخاتمة	٥١٤
المراجع	٥١٧
الفهرس	٥٢٨